

الافتتاحية وا إسلاماه

إن ما يجري في المنطقة العربية من إبعاد للإسلام وأهله خاصة عندما يكون له التأثير والفاعلية ، وبشكل صفيق ومكشوف ، وبتحد واضح لمشاعر المسلمين ، هذا الإبعاد قد لا يحتمله إنسان إلا أن يكون قلبه مطمئناً بالإيمان ، عامراً بالثقة بالله ونصره، ينظر إلى الأمور دائمًا نظرة التفاؤل ويعتبر أن هذه الأحداث إنما هي إرهادات وابتلاءات حتى يقوى عود المسلمين ويشتد ساعدتهم ويزدادوا خبرة وحكمة .

ليست هذه صرخة عاطفية ، فالتكلب الذي يدور على المسلمين من البداء والأقرباء لا بد أن يقابله استثناءً لهم والعزم وفتح الأعين والأذان ، وإصغاء القلوب والعقول ، والتفكير جدياً بما يجري ، فالرئيس الفرنسي (ميتران) يناقش موضوع تصاعد الموجة الأصولية الإسلامية في المنطقة وخطورتها على استقرار دول المنطقة عموماً فهل هناك تدخل في شؤون الآخرين أشد من هذا ، وهل هناك أسوأ من تصوير المسلمين بأنهم (برايرة متوجهين) خطرين على استقرار المنطقة ؟! وهل المنطقة مستقرة بالأحزاب العلمانية والدكتاتورية العسكرية ؟!

الآن نصرخ بها والمنطقة العربية تعيش من عشرات السنين في دوامة القهر والتخلف والحروب الأهلية الطاحنة : لماذا هذه المنطقة بالذات يجب أن تعيش الاستبداد والفقر والتفرقة ، ويسلط عليها العساكر إرضاء لأعداء الله وتمسكاً بالسلطة ، وتحطيمها لقدرات الشعب ونفسياته ، كيف يُسخر هؤلاء لهذه المهمة القدرة ، وكيف تربوا على هذه النفسية اللا إنسانية ، لا تستحق ظاهرة الجيوش هذه أن تدرس ، ولماذا يخالفون أوامر الله ولا يشعرون بالمسؤولية قبل أن يضربوا إخوانهم المسلمين ، أم أنهم كما صرحت مندوبة الولايات المتحدة في هيئة الأمم المتحدة عندما سئلت عن سبب دعم بلادها لأنظمة قمعية ، فأجابت : " صحيح إنهم دكتاتوريون ولكنهم ديكاتوريون " (١) .

الآن نقولها ونحن نسمع أن أقصى أمانى الوفد الفلسطيني إلى ما يسمى مؤتمر السلام هو أن يعترف به الوفد اليهودي ويجلس معه على طاولة واحدة ، وبهاجر إلى إسرائيل ٢٥ ألف طبيب و ١١٢ ألف مهندس و ١٢ ألف عالم وباحث و ١٧٠ ألف أكاديمي ، ونحن في البلاد العربية نهجّر العلماء والباحثين إلى أوروبا وأمريكا ، أو يقعون في زوابا النسيان في أوطانهم ، كل هذا بسبب مخالفة في الرأي .

لماذا يسمح في الغرب للأحزاب تتسمى باسم (النصرانية) أن تحكم وفي البلد العربية (لا) ، وإسرائيل تقوم على أساس دينية وغيرها من نوع ، ولماذا يسمح (للكرداتيين) بالاستقلال عن الصرب والمسلمون في (اليونان والهرسك) غير مسموح لهم ، بل أن أوروبا تساعد الصرب على ضربهم ؟! ونحن في هذه الحالة المؤسفة نرى أن بعض المشايخ والدعاة يتباكون على موضوع تغطية المرأة وجهها أو موضوع عدم (الاختلاط) ويعتبرون هذا من التزمر ، وكان هذه مشكلة المسلمين الكبارى ولا يتكلمون عن الحريات التي تخنق ، والإسلام الذي يبعد ، ولا على الشباب المسلم الذي يضيق عليه ، لماذا يسكن هؤلاء (الكبار) عندما يظلم إخوانهم ، ويخرجون على الناس بأحاديث ومقالات يمدحون فيها من ساعد على ظلمهم ، أما الكتاب (الصحفين) الذين يملأون الدنيا

جعجة حول (فهمهم للإسلام) وأنهم مفکرون ، هؤلاء لم نحس لهم صوتاً عندما يضرب الإسلام في بلد من بلاد المسلمين .

إن حقوق المسلم أكبر بكثير مما نتصور ، يقول علماء الفقه الإسلامي : لو أنفقت الدولة خزينتها على فداء أسرى المسلمين من الكفار ما كان هذا كثيراً ، وعندما رجع المنصور بن أبي عامر من إحدى غزواته في شمال الأندلس قابلته امرأة مسلمة على أبواب قرطبة وقالت له : إن ابني أسير عند النصارى ويجب عليك أن تقدميه أو تأتي به ، فما دخل المنصور قرطبة ورجع بجيشه حتى فك هذا الأسير ، وليس كرامة المسلم فقط هي المحفوظة في الدول الإسلامية بل يتعداها إلى حفظ كرامة كل مواطن ، يقول ابن حزم في حق المواطنين من غير المسلمين (أهل الذمة) : "إن من كان في الذمة وجاء أهل الحرب إلى بلادنا يقصدونه وجب علينا أن نخرج لقتالهم بالكراع والسلاح ونموت دون ذلك صوناً لما هو في ذمة الله تعالى وذمة رسوله - صلى الله عليه وسلم - ، فإن تسليمه دون ذلك إهمال لعقد الذمة" (٢) .

فإذا كان هذا في الذمي فكيف بعلماء المسلمين الذين يهانون ويضربون والأمة الإسلامية لا تفرغ لهم ولا تنتادي بأعلى صوتها للمفسدين والطغاة أن كفوا أيديكم عن الدعاة والعلماء ، ولكن الحقيقة أن المسلمين بمضيعة فلا دولة تهابهم ولا أحد يحسب حسابهم ، وذلك لما تفرقوا وتحزبوا وأكثروا من الكلام وأقلوا من الأفعال ولاذ كثيراً من يشار إليهم بالبنان في ظل مؤسسات لا تزيد للإسلام عزاً ، ضعفاً منهم وإيثاراً للدنيا ، ولما لم يفقهوا سنن التغيير وكيف يصلون إلى درجة من المهابة في صدور أعداء الله .

إن وقوف الغرب بقضيه وقضيشه في وجه اختيارات المسلمين لدينهم ، وأن يكون حاكماً لحياتهم فهي حرب ثانية خلال أقل من سنتين ، وقد علق أحد дипломاسيين العرب على ما وقع أخيراً قائلاً : "الغرب نفسه لا يقبل بذلك (الديمقراطية بالمفهوم الغربي) لأنها تعني في الحد الأدنى شيئاً من السيادة سياسياً واقتصادياً على الأقل وليس مسموحاً أن يكون - حتى اليوم - أي موقف عربي سيد نفسه" (٣) إذن القضية ليست مع نفر قليل من العبيد الذين باعوا أنفسهم في سبيل الجاه والمال والشهوات وأهم شيء عندهم هو إمتاع أسيادهم بكثرة المذلة ، ولكن القضية هي أننا في صراع مع الغرب ، وهذا بحاجة إلى إعداد طويل وبحاجة إلى حشد وتكتل والتلاقي حول قيادات إسلامية راشدة عندها علم بالمصالح والمفاسد وترجحها ، ومعرفة بسنن الله في الكون ، وعلم بواقع المسلمين والعالم ، والسير ضمن هذه المتغيرات الدولية السريعة . إن كل القيادات المخلصة مدعوة للالتقاء والتحاور حتى يصل المسلمون إلى مرحلة يسمع لهم وبهاب جانبهم . فالغرب شديد المكر ويملك قوة مادية هائلة . وما يسمى النظام العالمي الجديد إنما يطبق على المنطقة العربية لا سواها ، وليس صحيح أن العالم سيحكم من قطب واحد ، فالمتغيرات سريعة ، والصراع الاقتصادي بين أمريكا واليابان أو بين أمريكا والكتلة الأوروبية بات واضحاً ، ووصل الأمر برئيس وزراء اليابان أن يصرح بأن : "الولايات المتحدة الأمريكية بحاجة إلى الصداقة والعطف في هذا الظرف الاقتصادي السياسي العصيب" (٤) . وقد أغاظ هذا التصريح الأمريكيين واعتبروه تعاليأً عليهم وقد هدد أحد مستشاري البيت الأبيض سابقاً بأنه "إذا قام تكتل شرقي (اليابان ومن حولها) فسنطلق النار على رجليه" (٥) ولا يزال المسلمون - ضمن هذه المتغيرات - يملكون أوراقاً رابحة إذا أحسنوا التصرف .

وإننا لنتسائل أخيراً ، هل الذين يقفزون إلى السلطة على ظهر دبابة أو عربة مجنزة ، هل هم وطنيون فعلاً أم إنهم أداة رخيصة بيد غيرهم ، والجواب يعرفه أقل الناس دراية بالسياسة ، فهذا الهمد للأوطان وهذا التخريب الثقافي والاقتصادي والاجتماعي لا يمكن أن يقوم به وطني فضلاً

هديّة لمكتبة شبكة مشكاة الإسلامية

عن أن يقوم به مسلم يؤمن بالإسلام ديناً مهيمناً . وإن إبعادهم للإسلام بحد ذاته دليل على الخيانة ، لأن الإسلام هو هوية هذه الأمة وهو مصدر عطائها وهو كل شيء .

الهوامش:

١- الحياة ٩٢/١/٢٥

٢- د. عبد الكريم زيدان : الفرد والدولة في الشريعة الإسلامية ص ٦٩

٣- الشراع ٩٢/٢/٢٠

٤- الأسبوع العربي ٩٢/١/٢٧

٥- الكفاح العربي ٩٢/١/٢٠

آية من كتاب الله :

((ولا تَجَسِّسُوا..))

الشيخ : عبد الله بن حسن القعود

الحمد لله والصلوة والسلام على رسول الله وبعد :

فقد أنزل الله القرآن الكريم هداية ورحمة وبياناً وحجة وذكراً وموعظة . أنزله ليعرف الناس به ربهم ، وليعبده تعالى العبادة الحقة التي خلقوا لها والتي أرسل بها رسلاه وأنزل بها كتبه . أنزله ليؤخذ كلاماً لا بعضاً ، ليؤخذ معتقداً وسلوكاً وعبادة ومعاملة وتحاكماً بل خلقاً وأداباً . ولقد أنزل الله تعالى في هذا القرآن سورة عظيمة المعنى كبيرة القدر تضمنت حقائق كبيرة من حقيقة العقيدة والشريعة المترابطة المتشادة فيما بينها ((ألا لِهِ الْخُلُقُ وَالْأَمْرُ..)).

تلکم سورة الحجرات المسماة بسورة الآداب والتي رغم قصرها النسبي نوادي المؤمنون فيها بخمس نداءات ، نودوا فيها بأطيب الأسماء والأوصاف وأحبها إلى مسامعهم وأقواها لمساً لمشاعرهم واستجابة لقلوبهم ، نداءات تستحق أن تصيخ لها الآذان وأن تعقلها القلوب وأن تتحرك بمقتضاهما الجوارح حسبة الله سبحانه وسيراً على منهاج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، يقول الله سبحانه وتعالى ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقْدِمُوا بَيْنَ يَدِيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ)) ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظُّنُنِ إِنَّ بَعْضَ الظُّنُنِ إِثْمٌ وَلَا تَجَسِّسُوا..)).

ولنأخذ في هذه العجالة التذكير بثلاث موضوعات أو ثلاثة آداب . آداب عظمى تلزم المسلمين جمیعاً جماعات وأفراداً مسئولين أو غير مسئولين ولا سيما في مثل هذا العصر الذي اختلط حابله ببابله ، ثلاثة مما تلا هذه النداءات الخمسة من أوامر أو نواهٍ ، فما من نداء مثل هذا إلا ويتلوه أمر بخير أو نهي عن شر كما قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

أول هذه الأمور ما تضمنه قوله سبحانه : ((إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبِيًّا فَتَبَيَّنُوا..)) أي تتبّعوا في خبره ، محسوه تمحيصاً بحق وعدل لئلا يكون كاذباً أو مخطئاً فيجركم ذلك إلى أن تصيبوا قوماً بجهالة . قوماً هنا نكرة تعم الذكر والأنثى والصالح والطالح عدلاً بين الناس وإحساناً إليهم وإحتراماً لدمائهم وأموالهم وأعراضهم ، فتصبحوا على ما فعلتم من اعتماد على قبول خبر الفاسق فيهم نادمين معرضين للوعيد في قول الله سبحانه : ((وَالَّذِينَ يُؤْذِنُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا)). فليتق الله المسلم ولا سيما المسئول ولیأخذ بهذه الآداب "فتَبَيَّنُوا" ليتق

الله من مطيته في النّيل من الأبرار روايات وأخبار الفجار ولি�تذكر أن الإنسان كما يدين يدان - أي يجازى بمثل عمله .

ثاني هذه الأمور وثالثها ما تضمنه قوله سبحانه : ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظُّنُّ إِنَّ بَعْضَ الظُّنُّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسِّسُوا..)) والظن الذي أمرنا هنا باجتنابه هو بمعنى التهمة التي لا يعرف لها أamarات صحيحة ولا أسباب ظاهرة ولا سيما إن كان المظنون به من أهل الأمانة ظاهراً والستر والصلاح وهو أي الظن بهذا الاعتبار حرام لقول سبحانه : ((اجْتَبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظُّنُّ إِنَّ بَعْضَ الظُّنُّ إِثْمٌ))) وقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : "إِيَاكُمْ وَالظُّنُّ فَإِنَّ الظُّنُّ أَكْبَرُ الْحَدِيثِ" .

ويشتد تحريمه ويعظم إثم إذا جرّ الظآن للتجسس على المظنون به التجسس الذي نهينا عنه بقول الله سبحانه : ((وَلَا تَجَسِّسُوا))) وقول رسوله - صلى الله عليه وسلم - "لا تجسسوا ولا تحسسوا" أي لا يبحث أحدكم عن عيوب وعورات أخيه .

يروى عن أبي بربعة الأسلمي - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : "يَا معاشر من آمن بلسانه ولم يدخل قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإن من اتبع عوراتهم يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته" . وفي كتاب أبي داود عن معاوية - رضي الله عنه - قال سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : "إِنَّكَ إِنْ اتَّبَعْتَ عُورَاتَ النَّاسِ أَفْسَدْتَهُمْ كَذَّا تَفْسِدُهُمْ" .

وكفى هذه الفعلة قبحاً أن صاحبها كالذباب لا يكاد يقع إلا على المستقرات والمنتشرات والمستقبحات ذوقاً وعرفاً بل وشرعاً .

وكما يشتد تحريم الظن السيء ويعظم إثم إذا جرّ الظآن للتجسس على المظنون به فإنه يشتد ويعظم ويصبح أكثر وأكثر إذا أدى إلى نقل الظآن عن المظنون للغير قوله تعالى "أَوْ فَعَلَأَوْ أَمْرَ بِشِينِهِ وَلَا سِيمَا عِنْدَ مَنْ بِيدهِ حَوْلَ أَوْ طَوْلَ مِنَ النَّاسِ لِارْتِكَابِ جَرِيمَةِ عَظِيمَةِ وَدَاهِيَةِ كَبْرِيٍّ ، جَرِيمَةِ وَدَاهِيَةِ النَّمِيَةِ الْمُعْرَفَةِ مِنَ الْعُلَمَاءِ أَنَّهَا نَقْلُ كَلَامِ شَخْصٍ لَاخْرَ عَلَى وَجْهِ التَّهْرِيشِ وَالْإِفْسَادِ وَأَنَّهَا مَحْرَمَةٌ بِإِجْمَاعِ أَهْلِ الْعِلْمِ لَمَّا جَاءَ فِيهَا مِنْ نَصْوصٍ وَلَمَّا فِيهَا مِنْ إِفْسَادٍ وَفَسَادٍ .

ولا جرم، فلكل جرٍ من ويلات وأفساد من صلات وكشفت من عورات. كم بذررت وتبذّر من بذور للشحنة وأرست من قواعد للعداوة والبغضاء . كم خربت من بيوت عاملة وفرقـت بين أسر مجتمعـة وأزهـقت من أرواحـ بـريـئـةـ، ودرـءـاً لـفسـادـهـاـ عنـ الأـمـةـ وـحـمـاـيـةـ لـلـأـسـرـةـ الـمـسـلـمـةـ منـ آـثـارـهـاـ جاءـتـ نـصـوصـ الـكـتـابـ وـالـسـنـةـ بـتـهـدـيـ وـوـعـيـدـ مـرـتكـبـيـهاـ وـمـسـتـقـبـلـيـهاـ بـقـوـلـهـ سـبـحـانـهـ ((وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَافٍ مَّهِينٍ * هَمَّازَ مَشَاءَ بَنَمِيمٍ)) ويقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : "لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ نَمَامٌ" [متفق عليه] . وعن ابن عباس - رضي الله عنه - قال مر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بقرين فقال : إنهم ليغذـانـ وـمـاـ يـعـذـانـ فـيـ كـبـيرـ بـلـ إـنـهـ كـبـيرـ ، أـمـاـ أـحـدـهـمـ فـكـانـ يـمـشـيـ بـالـنـمـيـةـ ، وـأـمـاـ الـآـخـرـ فـكـانـ لاـ يـسـتـترـ مـنـ بـوـلـهـ" [متفق عليه] .

فإنـقـواـ اللـهـ إـخـرـوـةـ إـلـاسـلـامـ وـاحـذـرـواـ دـاءـ النـمـيـةـ وـالـوـشـايـةـ الدـاءـ العـضـالـ المـفـرـقـ بـيـنـ الـأـحـبـةـ الـبـاغـيـ للـبـرـاءـ الـعـيـبـ . اـحـذـرـوهـ إـنـهـ كـمـ سـمـعـتـ آـنـفـاـ مـرـكـبـ منـ عـدـةـ آـثـامـ . إـثـمـ الـظـنـ السـيـءـ أـوـ لـأـثـمـ إـثـمـ التـجـسـسـ ثـانـيـاـ ثـمـ إـثـمـ النـقـلـ ثـالـثـاـ . وـإـنـ تـلـاـهـ الرـابـعـ وـهـوـ أـخـذـ الـأـجـرـ عـلـىـ ذـلـكـ كـانـتـ طـامـتـهـ ، لـأـخـذـهـ الـأـجـرـ عـلـىـ إـفـسـادـ ذـاتـ الـبـيـنـ الـتـيـ أـمـرـ اللـهـ أـنـ تـصـلـحـ يـقـولـ سـبـحـانـهـ ((وَأـصـلـحـوـ ذـاتـ بـيـنـكـمـ)) وـالـذـيـ لـأـيـقـ حـرـمـةـ عـنـ حـلـوانـ الـكـاهـنـ وـمـهـرـ الـبـغـيـ وـثـمـنـ الـكـلـبـ ، رـحـمـاـكـ اللـهـمـ يـاـ رـبـ ! وـلـ حـولـ وـلـ قـوـةـ إـلـاـ بـكـ نـسـتـغـفـرـكـ اللـهـمـ وـنـتـوـبـ إـلـيـكـ .

الحركة الإسلامية بين العاطفة والمنهج

أحمد بن عبد الرحمن الصوين

شهدت العقود الأخيرة انتشاراً واسعاً للإسلام خاصة بعد سقوط الأقنة ، وإفلاس منطق الزيف ، وتهافت الشعارات النفعية التي جرّت الأمة من نكسة إلى أخرى . وانخرط في صفوف الحركة الإسلامية عدد كبير من الناس على شتى المستويات العلمية والثقافية ، وظهرت آثار الصحوة المباركة في كل مكان بحمد الله وفضله.

وببدأ هذا المدى تباعي بصورة مذهلة ونجحت الحركة الإسلامية في كسب الشعوب وتحريكها لتبني الرأية الإسلامية .. ولكن ماذا بعد ذلك..؟! هل استطاعت الحركة الإسلامية احتواء هذه الآلوف من المنتدين إليها؟! هل استطاعت أن تتنقل بهم من المرحلة العاطفية إلى مرحلة أكثر نضوجاً وعمقاً؟! هل قدمت المناهج الشرعية ، والبرامج العلمية ل التربية هذه الأجيال ؟! للأسف الشديد استطاعت الحركة الإسلامية في العالم الإسلامي أن تنتج رجالاً صالحين في أنفسهم... لكنها لم تنجح النجاح الذي نتطلع إليه في إنتاج رجال ناضجين عاملين ، يسعون بكل عزة لإنقاذ الأمة من كبوتها . ولا شك في أن الشعوب في منطقتنا الإسلامية محبة للإسلام بفطرتها ، وتستجيب استجابة عاطفية سريعة للنداءات المخلصة من رجالات الدعوة . لكن العاطفة وحدها لا يمكن أن تبني الأمم أو تحرر الشعوب . وإن اعتماد الحركة الإسلامية على عاطفة الجماهير وحدها سوف يؤدي مع مرور الوقت إلى ضمور هذه العاطفة وتأكلها ، حتى إذا أردناها لم نجدها... !! ولعل في تاريخ الحركة الإسلامية المعاصرة ما يؤكد ذلك .

إذا فالعاطفة هي بداية الطريق وليس نهايته.. العاطفة الإسلامية هي المنطلق الذي تنطلق منه الدعوات ... ثم يتبع ذلك عملية أكثر تعقيداً وصعوبة ، وأكثر أهمية وخطورة . وهي مرحلة التربية والإعداد.. مرحلة بلورة الفكر المنهجي لأبناء المسلمين بعيداً عن العشوائية والارتجال ، وبعيداً عن التقليد لشيخ أو العبودية لحزب ... مرحلة ترشيد هذه النفوس المؤمنة بخطط علمية مدرستها ، ومناهج شرعية مؤصلة ، تقودهم إلى فهم واع موضوعي بأصول الإسلام ومنابعه الكريمة ، مبرأة من الآراء والتصورات البشرية ، وحالية من الفلسفات والنحل المادي ، وتقديم لها أيضاً رؤية واضحة ناضجة لواقع الأمة الإسلامية بخلفياته السياسية والاقتصادية والاجتماعية وسبيل النهوض بها .

من مشكلة الصحوة الإسلامية أنها لا تتحرك وفق استراتيجيات ثابتة ومحكمة، تستشرف فيها آفاق المستقبل . بل لا زالت تنطلق بوحي من الخطاب الحماسي والأطروحات الوعظية ... ولا تتجاوزها إلى غيرها . وأنا لا أنكر أهمية ذلك . لكن لا يجوز الاقتصار عليها، لأنها سوف تولد مع مرور الوقت أجيالاً هشة، ليس لها القدرة على الوقوف أمام الشبهات والفنن التي تحيط بها من كل جانب، خاصة في العصر الذي اختلطت فيه الثقافات ، وكثير الأعداء فيه عن أنبيائهم . ليس ضعف أمتنا بسبب قلة عدتنا ، ولكن بسبب الغثاثية التي أنهكتها وأصبحت تخدعنا عند الأزمات . وصدق في حقنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - "الناس كابل مائة لا تقاد تجد فيها راحلة". وكما قال الشاعر :

ثم لا يغدون في أمر جلل يُثقلون الأرض من كثرةهم
إن ضعفنا بسبب التمزق الفكري والعبث المنهجي الذي نتخبط فيه ، حتى أصبحت معالم هويتنا
هلامية باهتة في كثير من جوانبها لا نكاد نميزها على الإطلاق .

هدية لمكتبة شبكة مشكاة الإسلامية

وإن غياب المنهج الشرعي الأصيل ، وفقدان الضوابط العلمية ، واضطراب المقاييس الشرعية ؛ تؤدي حتماً إلى خلل فكري يحول طاقتنا إلى طاقات مبعثرة هزيلة ، تنتهي بالأمة إلى الحيرة والقلق . والنجاح الحقيقي - الذي تشرئب له الأعناق، وتتطلع له الأفئدة - مستحيل بدون بذل غاية الجهد لتأصيل العقلية المسلمة تأصيلاً علمياً متكاملاً، لترتفع بهمومها وتطوراتها إلى مستوى المرحلة التي تعيشها الأمة . والحركة الإسلامية بشتى فصائلها مطالبة بأن يجعل ذلك من أولويات البناء الذي تقوم به . ومعلوم أن هذا لن يتم في يوم وليلة ، كما أن رجلاً واحداً لن يستطيع القيام به وحده . بل يحتاج الأمر إلى جهود علمية كبيرة ، ودراسات تربوية مستفيضة .

والمسؤولون عن الصحوة الإسلامية ليسوا أفراداً مهما بلغت منازلهم ، فدين الله ليس حكرًا على أحد ، ولكنه بعث عام يساهم فيه جميع المؤمنين ، وكل واحد منا له قيمته في دفع عجلة المسيرة الإسلامية ، لكنه يكتسب قيمته الحقيقة حينما يسخر كل ملكاته وقدراته في خدمة مبدئه ، ويفجر كل الإمكانيات الكامنة في نفسه ليطوعها في مجالات الإبداع والعطاء لخدمة هذا الدين الحنيف .

علينا أن نفكر في أنفسنا جيداً ، وسوف نجد أننا بقليل من الحزم ، وقليل من الطموح ، وكثير من الإخلاص ، نستطيع أن ننجز أعمالاً عظيمة ما كنا نتوقعها . والمهم أن نبدأ.. أن نبدأ بروح واتقة وعزيمة صادقة ، وسوف نكتشف في أنفسنا أشياء كثيرة لم نكن نعرفها . وسنخطيء كثيراً ، لكننا سنستفيد من أخطائنا ، وعندنا نجد أن الأبواب بدت مشرعة أمامنا تدعونا لمزيد من البذل والتضحية.. ((ولَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُه)).

التوسط في مسالك الدعوة والإصلاح

الشيخ : إسماعيل بن سعد بن عتيق

إن مما يدور على الألسن، ويترکرر على الأسماع قضية التجديد والإصلاح؛ فمن قائل بشموليته من القاعدة إلى الذروة ، ومن قائل بتخصص جانب من جوانب الإصلاح ، ومن مقتصر فلا هذا ولا ذلك وهذا قد أنسانا نفسه إذ نسي .

أما الأولون فقد راموا الكمال فعجزوا ، فكانت وصمة الإحباط إذ عجزوا عن المثال ، وتقاسروا دون الكمال . وأما الآخرون فقد كرسوا جدهم بما يمتلكون . وأزروا الدعوة بما يستطيعون ، مستثيرين بقوله تعالى : ((فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ)) وقوله تعالى : ((لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وَسُعَاهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذنَا إِنْ نَسِيَنَا أَوْ أَخْطَأْنَا...)).

بقي أن نسائل عن المنطلقات والقواعد وأسس العمل الإسلامي فمتى اتفقت الجهات وتنوعت الأساليب لتحقيق الغاية وهي العبودية لله -عز وجل-. فهذا منطلق التوحيد وقاعدة الإسلام . أما إذا حصل اختلاف في المنطلقات والقواعد وأسس فمن هنا يكون التشاجر والنزاع والخلاف كما حصل بين الأنبياء وأممهم ، فإن قاعدة الأنبياء ومنطلقاتهم هي إفراد الله بأنواع العبادة مما دل عليه صريح القرآن والسنة لقوله تعالى: ((فَلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَإِنَّا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ)).

وبحكم تقارب المسافات وتلامح الشعوب على مصالحها المادية والاجتماعية فقد تقارب الأفكار أو كانت ، مما جعل ظاهرة الحوار والجدل والمناقشات في أمور الدعوة أمراً يتطلبه توحيد الاتجاه والعبودية لله رب العالمين ، ولا يزال هذا الحوار في طور التكوين وذلك بوسائل الإعلام من نشرات ومجلات وكتب واتصالات وبعقد المؤتمرات والندوات واللقاءات الرسمية والشعبية ، وهذا يبشر بخير متى صفت النية وحسن القصد . وإن الفأل المعقود بوجود فئة مؤمنة تناست الألقاب

هدية لمكتبة شبكة مشكاة الإسلامية

والرتب المركزية متمثلة بقوله تعالى : ((قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى)) ولكن هل هذه الفئة محل ثقة وأمانة وصدق وإخلاص لدى الكثير من الناس مما يجعل تولهم محل عنابة وقبول . هذا ما يجب أن يكون .

وقد يستوضح سائل عن إجمال ما ذكرته من مخالف لقاعدة الإسلام ومنطقه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فنقول : قد ذهب فئة من الناس إلى أن إصلاح القمة هو سبيل تحقيق الغاية والعبودية لله -عز وجل- ، فكانت صناعتهم السياسية وإرادة الحكم من غير تحقيق لمعنى العبودية لله -عز وجل- . ومن قائل بأن الإسلام يقوم على القواعد الشعبية ولا بد من إصلاح الفرد في سلوكياته وأخلاقه ومعاملاته فكان الجهد بدل الجهاد وكان التنسك الفردي هو غاية ما يستطيعونه وكلا الفتئتين على طرفيين يتتوسطهما منهج السلف الصالح في تحقيق العبودية لله بإصلاح المعتقد ونبذ كل خرافية وبذلة ، بجانب التنسك والعبادة ومحاولة إقامة حكم الله وتتفيد شرعه بالطرق المشروعة ، وبهذا تكون شمولية الإسلام وتحقيق قاعدة : لا إله إلا الله محمد رسول الله .

التربية

أسس تقويم المنهج

عبد العزيز صادق
أهمية التقويم :

يعتبر التقويم جزءاً أساسياً بالنسبة للمنهج حيث أن المنهج بمفهومه الشامل يتضمن ثلاثة جوانب رئيسية:

أولاً : تحديد الأهداف التربوية .

ثانياً : وضع الخطط والبرامج الازمة لتحقيق هذه الأهداف عن طريق اختيار الطرق والأساليب المختلفة .

ثالثاً : عملية تقويم نتائج العملية التربوية بكافة أبعادها .

ومن ذلك يتبيّن كيف أن التقويم يعتبر جزءاً أساسياً في العملية التربوية . فهو يتأثر بالمنهج ويؤثر فيه

فهو يتأثر بالمنهج على النحو التالي:

إذا كان المنهج يركز على البيئة أو المجتمع فإن عملية التقويم تنصب على دراسة التلاميذ للبيئة ومصادرها وطرق استغلالها . هل أتيحت الفرصة لهم للقيام بالرحلات التعليمية والزيارات الميدانية ؟ هل تكونت لدى التلاميذ بعض المفاهيم التي تسخر لخدمة المجتمع ؟ هل أحضر التلاميذ بالمشاكل العامة للمجتمع ؟ وهل قاموا بالدراسات الازمة للتغلب على هذه المشاكل ؟ ومن هذا يتضح لنا أن عملية التقويم تتأثر بمفهوم المنهج .

ومن ناحية أخرى فإن التقويم بدوره لا بد وأن يؤثر في المنهج وفي العملية التربوية:

* فال்தقويم الناجح هو الذي يؤدي إلى تغيير بعض الأهداف التربوية وتعديل بعض الأهداف الأخرى .

* وهو الذي يؤدي أيضاً إلى تغيير في الطرق والوسائل والأساليب التي تتبع .. والتقويم الناجح هو الذي يلقي الضوء على الصعاب والمشكلات التي تواجه عند القيام بعملية التربية ، كما يلقي الضوء على جوانب القوة والضعف فيها بحيث يؤدي ذلك في النهاية إلى تدعيم جوانب القوة

ومعالجة جوانب الضعف ، وبذلك يكون التقويم أداة هامة من أدوات تطوير المنهج . وهذا الجانب بالذات يغفل عنه الكثيرون .

مفهوم التقويم

التقويم هو العملية التي يقوم بها الفرد أو الجماعة لمعرفة مدى النجاح أو الفشل في تحقيق الأهداف العامة التي يتضمنها المنهج وكذلك نقاط القوة أو الضعف في المنهج حتى يمكن تحقيق الأهداف المرجوة بأحسن صورة ممكنة .

فالتقويم ليس فقط تشخيصاً ل الواقع بل هو أيضاً علاج لما به من عيوب . إذ لا يكفي أن نحدد أوجه القصور في المنهج وإنما يجب العمل على تلافيها والتغلب عليها حتى لا تتكرر الأخطاء . وبذلك يكون الأداء في كل مرة أفضل من المرات السابقة .

مجالات التقويم

المفهوم القاصر للتقويم هو الذي ينصب على نقطة واحدة وهي مدى استيعاب التلميذ للمعلومات . ووسيلة هذا التقويم هي مجموعة من الاختبارات المتنوعة التي تقيس تحصيل التلميذ في هذه المعلومات .

أما المفهوم الصحيح للتقويم فهو ذلك الذي يركز على جميع جوانب النمو لدى التلميذ . كما يتعرض لجميع جوانب العملية التربوية والعوامل المؤثرة فيها . فهو بذلك يمتد إلى الأهداف التربوية، المنهج (المقررات، الكتب، الطرق، الوسائل، الأنشطة، الامتحانات)، التلميذ، المعلم، التوجيه الإداري، أماكن الدراسة.. الخ .

أسس التقويم

لا بد أن يقوم التقويم على الأسس التالية:

- ١- الشمول .
- ٢- الاستمرارية .
- ٣- التعاون .
- ٤- التناسق مع الأهداف .
- ٥- أن يبني على أساس علمي .

أولاً - الشمول

يعتبر التقويم شاملاً إذا انصب على جميع الجوانب . فإذا أردنا أن نقوم أثر المنهج على التلميذ فلا بد أن نقوم مدى نمو التلميذ في كافة الجوانب وهي :

- الجانب العقلي ويتضمن القدرة على الاستيعاب وفتح مداركه .
- الجانب الشرعي .
- الجانب الثقافي العام ومعرفة الواقع .
- الجانب الاجتماعي وعلاقاته المختلفة مع الآخرين .
- الجانب القيادي .
- الجانب الانفعالي .
- الانضباط .
- الاهتمام بالأخرين .
- الحماس والغيرة .
- الجانب البدني .

إلى غير ذلك من الجوانب المختلفة

والتحقيق الشامل للمنهج يجب أن ينصب على النقاط التالية :

- أهداف المنهج .

- البرامج الدراسية .

- المقررات الدراسية .

- طرق التدريس .

- الكتب الدراسية .

- الوسائل التعليمية .

- الأنشطة التربوية .

- أساليب ووسائل التقويم نفسها .

والتحقيق الشامل لا بد أن يتعرض للمعلم أيضاً . فلا بد من التعرض للنقاط التالية :

- إعداده .

- تدريبه .

- شخصيته .

- مادته العلمية .

- طريقة تدريسه .

- طريقة تقويمه للتلميذ .

- علاقته بالإدارة .

- علاقته بزملائه المدرسين .

- علاقته بالتلاميذ .

فسواء انصب التقويم على المعلم أو التلميذ أو على المنهج فلا بد أن ينصب على جميع الجوانب في كل مجال من هذه المجالات .

وتطبيق هذا المبدأ لا شك أنه أمر صعب يتطلب قدرة عالية من الشخص الذي يقوم بالتحقيق.

ثانياً - الاستمرارية

لا بد أن تستمر عملية التقويم مع مدة الدراسة وذلك يعني أن التقويم يجب أن يسير جنباً إلى جنب مع التربية . وبالتالي فإن عملية التقويم التي تجري في صورة امتحانات في آخر العام الدراسي فقط هي عملية غير سلية فيها إخلال بهذا الأساس .

وحيث أن عملية التقويم تهدف إلى التشخيص والعلاج فمن الواجب إذا أن تبدأ عملية التقويم مع بداية العام الدراسي حتى يمكن تحديد نواحي الضعف ونواحي القوة في جميع الجوانب وحتى يمكن

ملاحظة وتتبع عمليات النمو على مدار العام وبالتالي يكون هناك متسع من الوقت للعمل على تلافي نواحي الضعف والتغلب على الصعوبات . وملاحظة التلميذ لمعرفة سلوكه ومشكلاته واتجاهاته لا

تتم من مرة واحدة وإنما يجب أن تستمر الملاحظة لفترة طويلة حتى تكون النتائج صادقة .

أما التقويم الذي يتم في فترات محدودة في آخر العام أو في خلال العام ولكن على مرات قليلة جداً فلا يمكن أن تؤدي إلى عملية تشخيص سلية .

وحتى لو توصلنا إلى تشخيص صحيح فإن الوقت قد يكون متأخراً لتحسين الوضع وتقادي الأخطاء .

أما إذا كانت عملية التقويم مستمرة مع فترة الدراسة فإن ذلك يساعد على التالي :

- تغطية جميع الجوانب المراد تقويمها .

- تحديد نقاط القوة أو الضعف (عملية تشخيص) .

هدية لمكتبة شبكة مشكاة الإسلامية

- الكشف عن المعوقات والمصاعب .
 - علاج نقاط الضعف وتدعم نقاط القوة (عملية علاج) أولاً بأول .
 - إتاحة الفرصة لاستعمال الوسيلة أكثر من مرة لكي يتم التوصل إلى نتائج ثابتة (صدق النتائج) .
 - إتاحة الفرص لإشراك عدد كبير من الأفراد في عملية التقويم .
- وهكذا تتيح استمرارية التقويم الفرصة لتدعم الأسس الأخرى التي تبني عليها عملية التقويم مثل الشمول ، التنوع ، الثبات ، التعاون .

ثالثاً. التعاون

يجب أن يكون التقويم تعاونياً أي يقوم به مجموعة من الأفراد . فمفهوم المنهج هو مجموعة الخبرات المرتبطة التي تهتماً للتلميذ بقصد مساعدته على النمو الشامل وبالتالي فإن لقويم التلميذ في ظل هذا المفهوم يتطلب استخدام مجموعة من الوسائل المختلفة كما يتطلب مجموعة من الأفراد كل في مجال تخصصه وذلك لمعرفة مدى نمو التلميذ في جميع الجوانب . ومن هناأخذ التقويم طابعه الجماعي والتعاوني .

إذا أردنا أن نقوم تلميذاً بهذا المفهوم فلا بد أن يشتراك في تقويمه:

- المعلم .
- الإدارة .
- بقية التلاميذ .
- التلميذ نفسه .

وإذا أردنا أن نقوم المعلم فلا بد أن يشتراك في ذلك:

- المدير .
- بقية المعلمين .
- التلاميذ .

وإذا أردنا أن نقوم الكتاب المدرسي بهذا المفهوم فلا بد أن يشتراك كل من :

- المعلمين .
- الموجهين .
- رجال التربية .
- التلاميذ .

وهكذا نجد أن عملية التقويم تأخذ طابعاً جماعياً يقوم بها العديد من الأفراد فلا ينبغي أن يعتمد على تقويم فرد واحد مهما بلغ من العلم والكفاءة .

رابعاً - التنساق مع الأهداف

لا بد أن يكون التقويم متمنياً مع المنهج وأهدافه فلا ينبغي الخروج عن الأهداف أو التناقض معها . فإذا كان المنهج يهدف إلى تكوين الشخصية التي تعمل على تطوير نفسها وتساهم مساهمة فعالة في تطوير المجتمع الذي تعيش فيه فإن عملية التقويم في هذه الحالة عليها ان تكشف لنا عن الجوانب التالية :

- هل تكون لدى الشخص اتجاه سليم يقود إلى التغيير ؟
- هل اكتسب الشخص القدرة على الربط بين الأحداث ومن ثم الحكم عليها ؟
- هل اهتم المنهج بتنمية القدرة على الابتكار والإبداع ؟
- هل أتيحت للشخص الفرصة لممارسة النقد الهداف البناء ؟

هدية لمكتبة شبكة مشكاة الإسلامية

- هل اتيحت له الفرصة لحل المشكلات بأسلوب علمي ؟
- هل هناك اهتمام فعلي للتحصيل والرغبة في الاستزادة ؟
- هل تكونت لديه عادة القراءة وحب الاطلاع المستمر الذي يعتبر نواة للتعلم الذاتي والتعلم المستمر ؟

فإذا انصبت عملية التقويم على كل هذه الجوانب الموضوعة في صورة أسئلة ، كل سؤال يفتح مجالاً معيناً ، فمعنى ذلك أن عملية التقويم تتمشى مع مفهوم المنهج وأهدافه . ولا ينبغي أن نركز على جانب معين في التقويم ونغفل باقي الأهداف .

خامساً - أن يبني التقويم على أساس علمي

الأسلوب العلمي في التقويم أساس من الأسس الهامة جداً وأهم خصائص الأسلوب العلمي هي :

- الصدق .
- الثبات .
- الموضوعية .
- التنوع .
- التمييز .
- التخطيط .

- مراعاة الفروق الفردية بين التلاميذ .

وهذه العناصر ترتكز على الوسائل التي يتبعها التقويم ، ومن ثم فإنها تتعكس على التقويم ذاته .
وسنتكلم في العدد القادم عن هذه العناصر ببعض التفصيل .

"يتبع"

القواعد الفقهية

(٢)

للمحة تاريخية عن نشأة القواعد الفقهية

يمكن أن نقسم تاريخ نشأة وتدوين القواعد الفقهية إلى ثلاثة أقسام هي : نشأة القواعد ، وتدوينها ، وتنسيقها .

طور النشأة

النبي - صلى الله عليه وسلم - أصدق من نطق بالضاد ، وقد أوتي جوامع الكلم ، ولذا كان كلامه - صلى الله عليه وسلم - في كثير من الأحاديث عبارة عن قواعد فقهية باقية إلى قيام الساعة ، انظر مثلاً قوله - صلى الله عليه وسلم - : "العمماء جرحا جبار" (١) أو قوله "لا ضرر ولا ضرار" (٢) أو قوله : "البينة على المدعي واليمين على من أنكر" (٣) أو قوله "المؤمنون تتكافأ دمائهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم" (٤) أو قوله : "ما أسكر كثيره فقليله حرام" (٥) وكثير كثير من الأحاديث التي هي قواعد ثابتة تجمع فروعاً شتى في أبواب الفقه .

كما أن بعض الصحابة كلاماً منظوماً بمثابة قواعد فقهية ، مثل قول عمر رضي الله عنه - : "مقاطع الحقوق عند الشروط" (٦) وقول ابن عباس : "كل شيء في القرآن أو ، أو فهو مخير ، وكل شيء "فإن لم تجدوا" فهو الأول فالأخير" (٧) .

هدية لمكتبة شبكة مشكاة الإسلامية

كذلك أثر كلام عن التابعين بمثابة قواعد في أبواب الفقه ، انظر مثلاً إلى قول شريح (٧٦ هـ) : "من شرط على نفسه طائعاً غير مكره فهو عليه" (٨) أو قوله : "من ضمن مالاً فله ربه" (٩) وهو يماثل القاعدة "الخروج بالضمان" .

ومن التابعين أيضاً خير بن نعيم فقد روي عنه الليث بن سعد المقولة التي كانت قاعدة فقهية فيما بعد : "من أقر عندنا بشيء الزمانه إيه" (١٠) .

وإذا نظرنا إلى كتب التابعين وجدناها مليئة بالأقوال العامة التي تأتي على نسق القواعد الفقهية ، ولعل أقدم مصدر فقهي يسترعي انتباه الباحث هو (كتاب الخراج) لأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم (١٨٢ هـ) . فيه عبارات تتسم بسمات وشارات تتوقف بموضوع القواعد منها :

١- التعزير إلى الإمام على قدر عظم الجرم وصغره (١١) .

٢- كل من مات من المسلمين لا وارث له ، فماله لبيت المال (١٢) .

٣- ليس للإمام أن يخرج شيئاً من يد أحد إلا بحق ثابت معروف (١٣) وهذا نظير القاعدة المشهورة "القديم يترك على قدمه" .

٤- ليس لأحد أن يحدث مرجاً في ملك غيره ، ولا يتخذ فيه نهراً ولا بئراً ولا مزرعة، إلا بإذن صاحبه ، ولصاحبه أن يحدث ذلك كله (١٤) . وهذا نظير القاعدة "لا يجوز لأحد أن يتصرف في ملك الغير بلا إذنه" .

٥- لا ينبغي لأحد أن يحدث شيئاً في طريق المسلمين مما يضرهم، ولا يجوز للإمام أن يقطع شيئاً مما فيه الضرر عليهم، ولا يسعه ذلك (١) والشطر الأول يتعلق بقواعد رفع الضرر كما سيأتي والثاني يتعلق بالقاعدة: "التصرف على الرعية منوط بالمصلحة" .

إذًا نستطيع أن نقول أن القواعد كانت موجودة آنذاك ولكنها كانت متداولة لا تعرف بأنها قواعد، تأتي عفوية من العلماء، ولا شك أن هذا أدى إلى أن تكون هذه المقولات مصدر إنطلاق للمتأخرین في هذا المجال .

طور التدوين

لم تظهر القواعد الفقهية كعلم مستقل إلا في القرن الرابع الهجري . وذلك أنه لما اضمحل الاجتهاد وظهر التقليد بدأ كل أناس بدراسة مذهبهم ، واستخراج الفنون من أمثل : الفروق والحيل والألغاز والقواعد الفقهية .

وما يشهد له التاريخ أن فقهاء المذهب الحنفي كانوا أسبق من غيرهم في هذا المضمار ولعل ذلك يرجع لتوسيعهم في الفروع (١٦) .

أما أقدم نص وصل إلينا في تدوين القواعد الفقهية كعلم، ما ذكره العلائي الشافعي والسيوطى وابن نجيم في كتبهم عن القواعد : "أن الإمام أبا طاهر الدباس من فقهاء القرن الرابع الهجري ، قد جمع أهم قواعد مذهب الإمام أبي حنيفة في تسع عشرة قاعدة كلية ، وكان أبو طاهر - رحمه الله - ضريراً يكرر كل ليلة تلك القواعد بمسجده بعد انصراف الناس ، وذكروا أن أبا سعد الهروي (٤٨٨ هـ) - شافعي - قد رحل إلى أبي طاهر ، ونقل عنه بعض هذه القواعد ، ومن جملتها القواعد الأساسية المشهورة وهي:

١- الأمور بمقاصدها

٢- اليقين لا يزول بالشك

٣- المشقة تجلب التيسير

٤- الضرر يزال

٥- العادة محكمة (١٧، ١٨) .

هديّة لمكتبة شبكة مشكاة الإسلامية

ولعل الإمام الكرخي (٣٤٠ هـ) قد اقتبس بعض القواعد من الإمام الدباس وضمها إلى رسالته المشهورة التي تحتوي على سبع وثلاثين قاعدة ، ولعلها أول نواة للتأليف في هذا الفن (١٩). وجاء بعدهم الإمام أبو زيد الدبوسي (٤٣٠ هـ) حيث ألف أول كتاباً في هذا الفن وهو يمثل بداية هذا العلم من ناحية التدوين ، واسم كتابه "تأسيس النظر" (٢٠). وفي القرن السادس عشر لم يحفل بمؤلفات في هذا الفن ما عدا كتاب السمرقندى (٥٤٠ هـ) وهو (أيضاً في القواعد) ، أما القرن السابع فقد برز فيه هذا العلم بشكل واضح وخرج فيه كم من المؤلفات منها كتاب (قواعد الأحكام في مصالح الأنام) للعز بن عبد السلام (٦٦٠ هـ) .

أما القرن الثامن فيعتبر العصر الذهبي لتدوين القواعد الفقهية، ومن المؤلفات التي خرجت في هذا القرن: الأشباء والنظائر لتابع الدين السبكي كذلك القواعد في الفقه لابن رجب الحنبلي، والقواعد للمقرئ وغيرها كثير.

وفي القرن التاسع جدت المؤلفات على المنهاج السابق مثل كتاب ابن عبد الهادي (٨٨٠ هـ) (القواعد والضوابط) .

وفي القرن العاشر رقي فيه التدوين بخروج مؤلفات العلامة السيوطي (٩١٠ هـ) مثل الأشباء والنظائر ، كذلك كتاب ابن نجيم (٩٧٠ هـ) (الأشباء والنظائر الذي ألفه بعد انقطاع للحنفية عن التأليف دام قروناً) (٢١).

هذه لمحّة عابرة عن مسار التأليف في هذا الفن منذ القرن الرابع إلى القرن العاشر الهجري. لكن السؤال الحرّي بالإجابة: من قعد في هذه الفترة هل قلد من سبقه؟ أم أنه أتى بجديد في هذا العلم؟ والإجابة على هذا السؤال أن نقول أن الاحتمالين واردان ، فهناك بعض العلماء نجح في هذه القواعد وزاد في دقّتها وقلّ من مستثنياتها ، مثل الإمام النووي (٦٧٦ هـ) . وفي نظرة عاجلة على كتابه المجموع نجد أنه ذكر قواعد منها :

- ١- أصل الفروع الكثيرة بناء على القاعدة المشهورة (البيفين لا يزول بالشك) (٢٢) .
- ٢- من القواعد الشهيرة "الأصل في الأبضاع التحرير" ذكر في فروع منها : "إذا اختلطت زوجته بنساء واشتبهت لم يجز له وطء واحدة منهن بالاجتهاد بلا خلاف ، سواء كان محصورات أو غير محصورات لأن الأصل التحرير ، والأبضاع يحتاط لها ، والاجتهاد خلاف الاحتياط" (٢٣).
- ٣- أشار إلى قاعدة ترجيح المحرم على المبيح عند اجتماعهما في قوله: "إن الأصول مقررة على أن كثرة الحرام واستواء الحال والحرام يوجب تغليب حكمه في المنع كاخت أو زوجة اختلطت بأجنبيه" (٢٤) .

٤- ما نقله عن الإمام الجويني : "أنه إذا سقط الأصل مع إمكانه فالتابع أولى" كما جاء في النص التالي : "من فاته صلاة في زمن الجنون والحيض فإنه لا يقضى التوافل الراتبة التابعة للفرائض كما لا يقضى الفرائض... لأن سقوط القضاء عن الجنون رخصة مع إمكانه ، فإذا سقط الأصل مع إمكانه فالتابع أولى..." (٢٥) .

كذلك الإمام ابن القيم، له جهد وباع في تتفريح ودقة بعض القواعد الفقهية ، وفي نظرة عاجلة على كتابيه "إعلام الموقعين" و "بدائع الفوائد" يلمس المرء جهود الطيب في هذا المجال ، من ذلك:

- ١- (إذا زال الموجب زال الموجب) ذكرها في فصل عنوانه (طهارة الخمر باستحالتها توافق القياس) (٢٦).

٢- لا واجب مع عجز ولا حرام مع ضرورة) قال : (إن الرجل إذا لم يجد خلف الصف من يقوم معه تعذر عليه الدخول في الصف ، ووقف معه فإذا ، صحت صلاته للحجاجة) (٢٧) .

هدية لمكتبة شبكة مشكاة الإسلامية

- ٣ - (إن الأعيان التي تحدث شيئاً فشيئاً مع بقاء أصلها ، حكمها حكم المنافع ، كالثمر في الشجر واللبن في الحيوان والماء في البئر) ذكرها تحت فصل عنوانه : إجارة الظئر توافق القياس (٢٨) .
- ٤ - (المستثنى بالشرط أقوى من المستثنى بالعرف) (٢٩) بناء على ذلك اتفقوا على جواز تأخير التسليم إذا كان العرف يقتضيه ، كما إذا باع مخزنأً له فيه متاع كثير لا ينتقل في يوم ولا أيام ، فلا يجب عليه جمع دواب البلد ، ونقله في ساعة واحدة (٣٠) .
- ٥ - (إن الفروع والأبدال لا يصار إليها إلا عند تعذر الأصول ، مثل التراب في الطهارة والصوم في كفارة اليمين) (٣١) .
- ٦ - (ما حرم سداً للذرية ، أبيح للمصلحة الراجحة) كما أبيح النظر للخاطب والشاهد والطبيب من جملة النظر المحرم (٣٢) .
- بهذا يتضح أن عصر التدوين كان تنسيقاً لما سبق وكان فيه استنتاج لبعض القواعد الفقهية بناء على دراسة الفروع المتشابهة .

مواد التنسيق

علمنا فيما مضى أن القواعد الفقهية دارت في أول نشأتها على ألسنة المتقدمين إلى أن جرى تدوينها واتضحت معالمها . لكن القواعد على الرغم من تلك الجهود ظلت متفرقة ومبددة في مدونات مختلفة تضمنت تلك المدونات بعض الفنون الفقهية الأخرى مثل الفروق والألغاز وأحياناً بعض القواعد الأصولية .

"ولم يستقر أمرها تمام الاستقرار إلى أن وضعت مجلة الأحكام العدلية على أيدي لجنة من فحول الفقهاء في عهد السلطان عبد العزيز خان العثماني في أواخر القرن الثالث عشر الهجري ليعمل به في المحاكم التي كانت تعمل آنذاك (٣٣) .

"وقد وضعت القواعد في صدر المجلة ، وهي قرابة مائة قاعدة ،أخذت من كتاب الأشباه والنظائر لابن نجيم ومجامع الحقائق للخادمي" (٣٤) .

هذه لمحه سريعة عن تطور علم القواعد الفقهية عبر القرون الماضية . ويلمس الإنسان عدة أمور أثناء تأمله في تاريخ القواعد الفقهية منها :

- ١ - أن القواعد التي جاءت في كتب القواعد ليست كلها قواعد مذهبية .
- ٢ - أن بعضها اكتب صياغة أدق وامتاز بالرصانة بعد المزاولة والمداولة . ولنأخذ على ذلك مثالاً : القاعدة المشهورة في كون الإقرار إنما يلزم صاحبه المقر ولا يسري حكمه على غيره ، ترى نفسها المتداول في كتب المتأخرین وفي المجلة بعنوان (الإقرار حجة قاصرة) في حين أنها نجد هذه القاعدة عند الإمام الكرخي بالنص التالي : "الأصل : أن المرأة يعامل في حق نفسه كما أقر به ، ولا يصدق على إبطال حق الغير ، ولا بإلزام الغير حقاً" (٣) .

ومثال آخر : القاعدة المشهورة "التصرف على الرعية منوط بالمصلحة" (٣٦) يوجد أصلها في كلام الشافعي - رحمه الله - بأن (منزلة الوالي من الرعية منزلة الولي من اليتيم) (٣٧) ، ثم اشتهر هذا القول عند كثير من الفقهاء باعتباره قاعدة تحت عنوان : "تصرف الإمام على الرعية منوط بالمصلحة" (٣٨) .

هل يجوز أن يجعل القاعدة الفقهية دليلاً يستتبع منه الحكم الشرعي ؟

هذه المسألة حساسة و مهمة وعليها تبني كثير من الأحكام ، والراجح فيها - والله أعلم - أنه لا يجوز أن يجعل القاعدة الفقهية دليلاً يستتبع منه الحكم الشرعي . يقول الإمام الجوبني في كتابه الغياثي بمناسبة إيراد قاعدي الإباحة وبراءة الذمة : "وغرضي بإيرادهما تتبّيه القراء.. ولست أقصد الاستدلال بهما" (٣٩) .

ويقول ابن نجيم في هذه القضية : "إنه لا يجوز الفتوى بما تقتضيه القواعد أو الضوابط ، لأنها ليست كلية بل أغلبية" (٤٠) .

أما العالمة على حيدر فيقول في شرح المجلة "فحكم الشرع ما لم يقفوا على نقل صريح لا يحكمون بمجرد الاستناد إلى واحدة من هذه القواعد" (٤١) .

إذاً وضع القاعدة كدليل شرعي الراجح أنه لا يصح وذلك أن القاعدة مستثنة وصفتها عدم الشمول ، ونحن مطالبون بأن نستدل بدليل ثابت صفتة الشمول والدقة .

نعم لبعض القواعد صفة أخرى كأن تكون معبرة عن دليل أصولي أو كونها حديثاً ثابتاً مستقلاً فهنا نستند إلى صفتها كأن تكون دليلاً قرآنياً أو سنة نبوية أو قاعدة أصولية ، والله أعلم .

الهوامش :

- ١- اخرجه البخاري ، كتاب الديات ، باب : المعدن جبار والبئر جبار (٢٥٣٣/٦) ترقيم البنا.
- ٢- اخرجه الحاكم في المستدرك ٥٧/٢ وقال : صحيح الإسناد على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.
- ٣- أخرجه مسلم ٣/١٣ بشرح النووي ، والترمذى كتاب الأحكام والبيهقي وابن عساكر ، كما أخرجه الدارقطنى .
- ٤- أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب الديات ، باب إيقاع المسلم من الكافر ، والنمسائي ١٨/٨ وابن الحلبى
- ٥- رواه أحمد وأبو داود والترمذى وابن حبان ، قال الترمذى : حسن غريب ، قال ابن حجر : رواته ثقات وصححه الألبانى .
- ٦- صحيح البخاري باب : الشروط في المهر عند عقدة النكاح وباب : الشروط في النكاح .
- ٧- رواه عبد الرزاق ٣٩٥/٤
- ٨- صحيح البخاري بشرح الكرمانى ٥٥/١٢
- ٩- أخبار القضاة ٣١٩/٢
- ١٠- المصدر السابق ٢٣١ / ٣
- ١١- الخراخ لأبي يوسف ص ١٨٠
- ١٢- المصدر السابق ص ٥١
- ١٣- المصدر السابق ص ٧١
- ١٤- المصدر السابق ص ١١١
- ١٥- المصدر السابق ص ١٠١
- ١٦- القواعد الفقهية ص ٩٩
- ١٧- الأشباه والنظائر للسيوطى ص ٧ وكذلك الأشباه والنظائر لابن بجيم ص ١٠ - ١١
- ١٨- وقد نظم بعض الشافعية هذه القواعدخمس الأساسية في بعض الأبيات :

خمس مقررة قواعد مذهب للشافعى فكن بهن خيراً
ضرر يزال وعادة قد حكمت وكذا المشقة تجلب التيسير
والشك لا ترفع به متىقناً والقصد أخلص إن أردت أجوراً
- ١٩- القواعد الفقهية ص ١٠٠ ، وبالمناسبة فإن الإمام الكرخي هو القائل : إن كل آية تخالف قول أصحابنا فإنها تحمل على النسخ أو على الترجيح أو على التأويل من جهة التوفيق (شرح القواعد الفقهية للزرقا ص ، ٣٩)
- ٢٠- القواعد الفقهية ص ١٠١

هدية لمكتبة شبكة مشكاة الإسلامية

- ٢١- انظر في هذا التسلسل التاريخي القواعد الفقهية (ص ١٠١ - ص ١٠٣)
- ٢٢- المجموع ٢٤٦/١
- ٢٣- المصدر السابق ٢٣٧/١
- ٢٤- المصدر السابق ٢٣٧/١
- ٢٥- المصدر السابق ٤٣٣/١
- ٢٦- إعلام الموقعين ١٤/٢
- ٢٧- المصدر السابق ٤٨/٢
- ٢٨- المصدر السابق ٣٤/٢
- ٢٩- أظن القاعدة بالعكس أي أن المستثنى بالعرف أقوى من المستثنى بالشرط
- ٣٠- إعلام الموقعين ٣٠/٢
- ٣١- المصدر السابق ٣٩٩/٣
- ٣٢- المصدر السابق ١٦١/٢
- ٣٣- القواعد الفقهية ص ١٢١
- ٣٤- المصدر السابق ص ١٢١
- ٣٥- كلام الكرخي ، انظر رسالة الكرخي ص ٢١٢
- ٣٦- مجلة الأحكام العدلية ٥٨/٢
- ٣٧- المنثور في القواعد ص ٣٠٩
- ٣٨- الأشباه والنظائر لسيوطى ص ١٢١
- ٣٩- الغيثى ص ٤٩٩
- ٤٠- غمز عيون البصائر ١٧/١
- ٤١- درة الأحكام شرح مجلة الأحكام ١٠/١

خواطر في الدعوة
أزمننا الأخلاقية

محمد العبدة

خلل كبير نعاني منه في حياتنا الإسلامية المعاصرة أياً ما معاناه ، ذلك هو النقص في الأخلاق الأساسية التي يجب أن تتوفر في كل مسلم ، لأنها إن ضعفت أو نقصت فلن تقوم للأمة قائمة . هذه الأخلاق كانت موجودة أو كثير منها عند العرب عندما جاءهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالنبوة والهداية . كان خلق الوفاء والصدق والشجاعة والتذمّر للصديق والجار شائعاً ، وكان العربي يجد غضاضة في أن يوصم بالكذب أو الغدر ، ولذلك لم يتعب الرسول - صلى الله عليه وسلم - نفسه في تأديب هؤلاء وتربيتهم على هذه الأخلاق والدعوة إلى ممارستها ، فالإشارة منه لهذه الأخلاق كانت تكفي لأنها ارتبطت بالتوحيد الذي جاءهم به ، وهو الذي كان ينقصهم فلما تمثّلوا به وأصبحت العبودية تامة لله سبحانه ؛ كملت هداية الفطرة وهداية الوحي فكانوا كما قال تعالى : ((نُورٌ عَلَى نُورٍ)).

وفي هذه الأيام ابتلى المسلمين وابتليت الدعوة بمن تجرد من هذه الأخلاق ، فالكذب - وهو من أسوأ الأخلاق الرديئة - يقع فيه هؤلاء سواء في أحاديثهم العادلة أم في تجريح إخوانهم من الدعاة ،

ولا أدرى بم يعلوون هذه الفعلة الشنيعة ، هل بمصلحة الدعوة !؟ أما الحقيقة فهي أن معادنهم رخيصة ، وليس عندهم أخلاق الفطرة لأنها فسدت بسبب البيئة التي عاشوا فيها ، ولا أخلاق الإسلام لأنهم تربوا على الأنانية والحزبية الضيقية ، ويتبع هذه الخصلة السيئة قلة الإنفاق في الحكم على الآخرين ، فالتهم تکال كيلاً دون أدنى تحر للعدل والإنصاف، ويتناقل هذه التهم المغفلون والسذج دون أي تحرج أو تأثم ، فكيف تستقيم حيّاتنا الإسلامية وفيينا هذه الأخلاق، انظر إلى هذا الذي يقول عن إخوانه الذين يتصدرون للظلم والقهر والإرهاب السافر ، يقول عنهم في لقائه مع رئيس مجلس الدولة: "جئنا لتهنئة الأوضاع والخروج من الأزمة التي سالت فيها الدماء ، فأصبح المقتول لا يعرف لماذا قتل ، والقاتل لا يعرف لماذا قتل"(١).

أهكذا أيها الداعية ؟! المقتول لا يعرف لماذا قتل ؟ الذين يجاهدون الظلم ويدفعون عن أنفسهم العدوان لا يعرفون لماذا يجاهدون ؟ هل هذه أخلاق رجال ، هل الذي يشمت بما يفعل بإخوانه يملك الأخلاق الأساسية التي هي من مقومات نهضة الأمة ، وكان قد أظهر شماتته في أحداث سبقت وأيد نزول الجيش لإنهاء ما سماه (الفتنة) .

إنها مصيبة والله أن يكون بعض من لا يتبنى الإسلام عنده من الجرأة والرجلة أكثر من هذا الذي يملك نفساً أنانية ولا يريد إلا التسلق على حساب مصائب إخوانه ولذلك نقول: إن أزمتنا في بعض جوانبها أزمة أخلاقية .

عالم وكتاب

إمام الكلام فيما يتعلق بالقراءة خلف الإمام للعلامة أبي الحسنات الكنوي

عرض وتقديم : محمد عبد الله آل شاكر

- ١ -

لعلماء الهند المسلمين جهود رائعة وعناء مخلصة بعلوم الشريعة الإسلامية بعامة وفي الحديث وخاصة . ومنذ أكثر من نصف قرن ، قال السيد محمد رشيد رضا، رحمة الله: "... ولو لا عناء إخواننا علماء الهند بعلوم الحديث في هذا العصر ، لقضي عليها بالزوال من أمصار الشرق . فقد ضعفت في مصر والشام والعراق والجاز ، منذ القرن العاشر للهجرة ، حتى بلغت منتها الضعف في أوائل هذا القرن الرابع عشر".

ولئن بدأت علوم الحديث الشريف تأخذ مكانتها الائقة في جامعاتنا اليوم : دراسة وفهمًا والتزاماً فإن الوفاء يقتضي أن نشير إلى جهود الرواد والسابقين الذين كان لهم فضل في توجيه المسلمين إلى هذا الجانب، من خلال التعريف بعالم من هؤلاء العلماء، ودراسة واحد من كتبه التي يجمع فيها بين الدراسة الحديثية والفقهية ، على طريقة كثير من علمائنا رحمهم الله وهذا العالم هو العلامة أبو الحسنات الكنوي (١٢٦٤ - ١٣٠٤ هـ)، وكتابه هو "إمام الكلام فيما يتعلق بالقراءة خلف الإمام".

- ٢ -

مما بين أفغانستان والهند ، تنقلت أسرة اشتهرت بالعلم والعلماء والصلحاء ، واستقرت في مدينة "دلهي". وكان منها: محمد بن عبد الحليم بن محمد أكبر بن المفتي أحمد أبي الرّحم ، الذي ينتهي نسبة إلى الصحابي أبي أيوب الأنصاري - رضي الله عنه-. وفي عام ١٢٦٤ هـ ، رزقه الله تعالى

بولد "عبد الحي" وكنيته "أبو الحسنات" واسْتَهْرَ بِلَقْبِ "اللُّكْنُوِيِّ" ، نَسْبَةٌ إِلَى مَدِينَةِ "لَكْنُوْ" أَوْ "لَكْنُونَ" .

وَمَنْحَاهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْذُ نَشَأْتَهُ - قُوَّةُ الْحَفْظِ ، فَحَفْظُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَلَهُ مِنَ الْعُمُرِ خَمْسُ سَنَوَاتٍ ، وَكَانَ يَحْفَظُ - كَمَا يَقُولُ عَنْ نَفْسِهِ - جَمِيعَ الْوَقَائِعِ الَّتِي تَقْعُدُ لَهُ كَالْعِيَانُ . وَتَنَقَّلَ بَيْنَ عَدْدٍ مِنَ الْبَلَادِ فِي الْهَنْدِ مَعَ أَبِيهِ الَّذِي كَانَ مُدْرِساً فِي "بَانْدَا" ثُمَّ انتَقَلَ إِلَى "جُونْفُور" ، وَفِيهَا شَرْعٌ فِي تَحْصِيلِ الْعِلْمِ وَعُمُرُهُ إِحْدَى عَشَرَةِ سَنَةٍ حَتَّى فَرَغَ مِنْ قِرَاءَةِ الْكِتَابِ الْمَدْرَسِيِّ فِي عِلُومٍ كَثِيرَةٍ . وَتَابَعَ تَعْلِيمَهُ بَعْدَ وَفَاهُ وَالَّدُ ، وَنَالَ إِجازَاتٍ عَلْمِيَّةٍ كَثِيرَةٍ ، وَتَصَدَّرَ لِلتَّدْرِيسِ وَلَازَمَهُ فِي "حِيدَرَ آبَادَ" مَدَةً مِنَ الزَّمْنِ . وَكَانَ شَغُوفًا بِذَلِكَ مِنْذُ عَنْفَوَانَ الشَّابِ ، بَلْ مِنْ زَمْنِ الصَّبَا ، فَلَمْ يَقْرَأْ كِتَابًا إِلَّا دَرْسَهُ فِيمَا بَعْدَ ، وَجَمَعَ بَيْنَ الْعِلْمِ وَالْتَّعْلِيمِ وَالتَّرْبِيَّةِ ، وَكَتَبَ لَهُ فِي تَدْرِيسِهِ الْقَبُولُ وَالرَّضْيُ .

وَقَدْ بَلَغَ أَبُو الْحَسَنَاتِ مَكَانَةً فِي الْعِلْمِ وَالْخَلْقِ الْهَجَةِ الْأَلْسُنَةِ عَلَيْهِ بِالثَّنَاءِ ، يَشِيرُ إِلَى ذَلِكَ مَا قَالَهُ الْعَالَمُ الْكَبِيرُ عَبْدُ الْحَيِّ الْلُّكْنُوِيُّ فِي كِتَابِهِ "نَزَهَةُ الْخَوَاطِرِ" :

"... تَبَرَّرَ فِي الْعِلْمِ ، وَتَحْرِيَ فِي نَقْلِ الْأَحْكَامِ ، وَحَرَرَ الْمَسَائلِ ، وَانْفَرَدَ فِي الْهَنْدِ بِعِلْمِ الْفَتوَىِ ، فَسَارَتْ بِذَكْرِهِ الرَّكْبَانُ ، بِحِيثُ أَنَّ ، عَلَمَاءَ كُلِّ إِقْلِيمٍ يُشِيرُونَ إِلَى جَلَالِهِ . وَلَهُ فِي الْأَصْوَلِ وَالْفَرْوَعِ قُوَّةٌ كَامِلَةٌ ، وَقُدرَةٌ شَامِلَةٌ ، وَفَضْيَلَةٌ تَامَةٌ ، وَإِحْاطَةٌ عَامَةٌ . وَفِي حَسْنِ التَّعْلِيمِ صَنَاعَةٌ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا غَيْرُهُ . وَكَانَ إِذَا اجْتَمَعَ بِأَهْلِ الْعِلْمِ ، وَجَرَتِ الْمَبَاحَثَةُ فِي فَنِّ الْفُنُونِ الْعِلْمِ لَا يَتَكَلَّمُ قُطُّ ، بَلْ يَنْظَرُ إِلَيْهِمْ سَاكِنًا ، فَيُرْجِعُونَ إِلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ . فَيَتَكَلَّمُ بِكَلَامٍ يَقْبِلُهُ الْجَمِيعُ ، وَيَقْتَعُ بِهِ كُلُّ سَامِعٍ . وَكَانَ هَذَا دَأْبُهُ عَلَى مَرْوُرِ الْأَيَّامِ ، لَا يَعْتَرِيَهُ طَيشٌ وَلَا خَفَّةٌ فِي شَيْءٍ كَائِنًا مَا كَانَ . فَقَدْ كَانَ مِنْ عَجَابِ الزَّمْنِ ، وَمِنْ مَحَاسِنِ الْهَنْدِ ، وَكَانَ الثَّنَاءُ عَلَيْهِ كَلْمَةً إِجْمَاعٍ ، وَالاعْتِرَافُ بِفَضْلِهِ لَيْسَ فِيهِ نَزَاعٌ" .

وَالرَّجُلُ الَّذِي يَبْلُغُ هَذِهِ الْمَنْزِلَةِ يَأْنَفُ مِنَ الْعَصَبِيَّةِ الْمَقْيِتَةِ وَالْتَّبَعِيَّةِ الْذَّلِيلَةِ ، فَلَا يَرْضِي أَنْ يَقُودَهُ غَيْرُهُ - تَقْليِدًا أَعْمَى - مِنْ حِيثُ لَا يَبْصُرُ طَرِيقَهُ . فَقَدْ تَفَقَّهَ عَلَى مَذَهَبِ أَبِي حَنِيفَةِ فِي الْفَرْوَعِ وَالْأَصْوَلِ - وَهُوَ الْمَذَهَبُ الْمُنْتَشَرُ فِي تَلْكَ الأَصْقَاعِ - وَلَكِنَّهُ كَانَ غَيْرُ مُتَعَصِّبٍ فِي الْمَذَهَبِ ، وَيَتَبعُ الدَّلِيلَ ، وَيَتَرَكُ التَّقْلِيدَ إِذَا وَجَدَ فِي الْمَسَأَلَةِ نَصَارَىٰ صَرِيحًا مُخَالِفًا لِلْمَذَهَبِ . وَكَتَبَهُ وَتَحْقِيقَاتَهُ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمَسَائلِ ، شَاهَدَ صَادِقًا عَلَى ذَلِكَ ، رَحْمَهُ اللَّهُ تَعَالَى . قَالَ فِي كِتَابِهِ "النَّافِعُ الْكَبِيرُ" لِمَنْ يَطَالِعُ الْجَامِعَ الصَّغِيرَ ص ٤٨ :

وَمِنْ مِنْحَهُ تَعَالَى أَنَّهُ رَزَقَنِي التَّوْجِهَ إِلَى فَنِ الْحَدِيثِ وَفَقْهِهِ ، وَلَا أَعْتَدَ عَلَى مَسَأَلَةٍ مَا لَمْ يَوْجُدْ لَهَا أَصْلٌ مِنْ آيَةٍ أَوْ حَدِيثٍ . وَمَا كَانَ خَلَفُ الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ أَتْرَكَهُ ، وَأَظَنَّ الْمُجَتَهِدَ فِيهِ مَعْذُورًا ، بَلْ مَأْجُورًا . وَلَكِنِّي لَسْتُ مِنْ يَشُوشُ الْعَوَامَ الَّذِينَ هُمْ كَالْأَنْعَامِ ، بَلْ أَتَكَلَّمُ بِالنَّاسِ عَلَى قَدْرِ عُقُولِهِمْ" . وَكَانَ سَالِكًا طَرِيقًا وَسَطًا بَيْنَ الْإِفْرَاطِ وَالْتَّفَرِيطِ فِي مَسَائلِ الْخَلَافِ ، فَهُوَ لَيْسَ مِنْ يَخْتَارُ التَّقْلِيدَ الْبَحْثَ بِحِيثُ لَا يَتَرَكُ قَوْلَ الْفَقَهَاءِ ، وَإِنَّ خَالِفَتِهِ الْأَدَلَّةُ الشَّرِعِيَّةُ . وَلَا مَنْ يَطْعَنُ عَلَيْهِمْ وَيَهْجُرُ الْفَقَهَ بِالْكُلِّيَّةِ ! وَهُوَ شَدِيدُ الْاعْتِدَادِ بِالْحَدِيثِ وَأَهْلِهِ - يَرْحَمُهُمُ اللَّهُ أَجْمَعِينَ - فَيَقُولُ فِي كِتَابِهِ الَّذِي سُنُّنُهُ لَهُ بَعْدَ قَلِيلٍ ، ص ٢٢٨ :

"وَمِنْ نَظَرِ بَعْنَى الْإِنْصَافِ وَغَاصِرِ فِي بَحَارِ الْفَقَهِ وَالْأَصْوَلِ ، مُتَجَنِّبًا عَنِ الْاعْتِسَافِ ، يَعْلَمُ عَلَمًا يَقِينًا : أَنَّ أَكْثَرَ الْمَسَائلِ الْفَرْعِيَّةِ وَالْأَصْلِيَّةِ الَّتِي اخْتَلَفَ فِيهَا الْعَلَمَاءُ ، فَمَذَهَبُ الْمُحَدِّثِينَ فِيهَا أَقْوَى مِنْ مَذَاهِبِهِمْ . وَإِنِّي كَلَمًا أَسِيرُ فِي شَعْبِ الْاِخْتِلَافِ أَجْدُ قَوْلَ الْمُحَدِّثِينَ فِيهِ قَرِيبًا مِنِ الْإِنْصَافِ . فَلَلَّهِ دِرَرُهُمْ ، وَعَلَيْهِ شَكْرُهُمْ ! كَيْفَ لَا ، وَهُمْ وَرَثَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، حَقًا ، وَنَوَابُ شَرِعِهِ صَدِقًا . حَشِرْنَا اللَّهُ فِي زَمَرَتِهِمْ ، وَأَمَاتَنَا عَلَى حَبِّهِمْ وَسِيرَتِهِمْ (١) .

هدية لمكتبة شبكة مشكاة الإسلامية

وأمثال هذه الكلمات كثيرة تجدها مبثوثة في تصارييف كتبه ، مما يدل على اعتقاده القوي بالدليل ، وعدم تعصبه للمذهب ، مع سعة اطلاعه وكثرة تنقيبه ، وإنصافه لمن يخالفه في الرأي والمسألة .

- ٣ -

تلجم لمحات سريعة موجزة عن الكنوي ، أما كتابه "إمام الكلام.." فهو واسطة العقد بين مؤلفات كثيرة في القراءة في الصلاة ، قبل الكنوي وبعده .

وقد تعددت مناهج المؤلفين واختلفت طريقة بحثهم في المسألة ، تحريراً وتأصيلاً وردًا مما لا مجال للإضافة فيه الآن . ولكن يحتاج القارئ المتبصر إلى بحث فقهى حديثى لهذه المسألة يستقصى فيه الأدلة بأنواعها ، وينزل كل دليل منزلته ، دون أن يأخذ ببعض الأدلة ويهمل بعضها الآخر ، فيجمع أطراف المسألة كلها ، ويخرج بنتيجة وحكم يؤيده الدليل الصحيح . ولعل هذا الكتاب ، الذي نعرض في هذه الصفحات ، يحقق ذلك فيما أحسب :

رتب المؤلف كتابه على مقدمة ، وثلاثة أبواب ، وخاتمة .

الباب الأول : وعقده المؤلف لاختلاف علماء الأمة عن الصحابة ، التابعين الأنمة المجتهدين ، ومن بعدهم من فقهاء الملة . وجعله في فصلين :

الفصل الأول : الآثار الواردة عن الصحابة - رضوان الله عليهم - ، وساق فيه الروايات الكثيرة عنهم ، والمرروية في كتب الصحاح والسنن والآثار والمصنفات ، وأيد ذلك بنقول كثيرة تبين أن المسألة خلافية ، عن الإمام أحمد بن حنبل والترمذى والحازمى وغيرهم ...

والفصل الثاني : أقام المؤلف بحثه على "تنقیح المذاهب" على ثلاثة أصول أو مسالك
أ- الأول : أنه لا يقرأ خلف الإمام بحال ، لا في السرية ولا في الجهرية ، وهو مسلك فقهاء الحنفية
ومن وافقهم .

ب- الثاني : يقرأ الفاتحة في السرية والجهيرية كليهما . وهو مسلك الشافعية .

ج- الثالث : يقرأ في السرية دون الجهرية . وهو مسلك المالكية والحنابلة .

وتحت كل مسلك من هذه المسالك مذاهب ومسائل متفرقة ، عرض لها المؤلف وناقشها مع الأدلة .
كما ناقش ما كتبه الشوكاني في "نيل الأوطار" بدليل قوي وحججة ناسعة وعبارة عفيفة .

الباب الثاني : وفيه عرض المؤلف أدله أصحاب المساك الثلاثة السابقة من المذاهب الأربع ، ووجه الاستدلال بكل دليل . مع ذكر ما يقوي هذه الأدلة أو يردها ويضعفها . ومن البحث في ذلك تعلم وجه استدلال كل مذهب بالدليل من النصوص الشرعية والإجماع والمعقول . وقد اشتمل هذا الباب على ثلاثة فصول:

الفصل الأول : في دلائل الحنفية ، ومن وافقهم على مذهبهم ، وهي بأنواعها خمسة أصول وهي الاستدلال بالكتاب والسنة والآثار عن الصحابة والاجماع والمعقول .

وعقب ذلك برأي الإمام البخاري رحمه الله -، وأجاب عن اعترافاته ، بما يتلقي مع ما فعله شيخ الإسلام ابن تيمية كذلك ، مما هو في ملحق الكتاب . وفي هذا البحث كلام طويل عن السكتات في الصلاة ، من حيث عددها ومكانها وما الذي يشرع منها .

الفصل الثاني : وعقده لعرض أدلة أصحاب المساك الثاني ، وفيه بحث ثلاثة أصول أو أدلة :

الأول : دليل الكتاب الكريم ((فَأَفْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ..)) وقوله تعالى : ((وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ...))

والثاني : استدلوا فيه بآثار عن الصحابة في تجويز القراءة ، مما روی عن عمر ، وابن عمر ، وأبي بن كعب ، وأبي هريرة ، وحذيفة ، وعلى ، وعائشة ، وغيرهم ، رضي الله عنهم أجمعين .

هدية لمكتبة شبكة مشكاة الإسلامية

وفي الأصل الثالث : استدل بالمعقول من وجوه ، أولها : أن القراءة ركن يشترك فيه الإمام والمأمور ، والثاني : أن الإمام لا يتحمل عن المأمور شيئاً من الفرائض غير القراءة فلا يتحمل القراءة كذلك . وفي الأصل الرابع : استدلوا بحديثي : "من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم الكتاب فهي خداج" و "... لا تفعلوا إلا بأم الكتاب" .

وقد أطال النفس في هذا الأصل وما وجه إليه من اعترافات ، ورد ذلك كله بوجوه كثيرة ، تخللها مبحث طويل في روایة محمد بن إسحاق وتوثيق العلماء لروايته . ثم حرر النزاع حول مسألتين هما : ركنية الفاتحة في الصلاة ، وقراءة المقتدي لها .

الفصل الثالث : وهو فصل موجز لأدلة أصحاب المسلك الثالث ، فلا حاجة للإطالة ، فهم قد أخذوا من كل مسلك بطرف ، ورددوا بأدلة هذا على ذاك .

الباب الثالث : وفيه ضبط المذاهب السابقة إجمالاً والإشارة إلى دليل كل منها تفصيلاً مع ترجيح يقبله أصحاب النظر الصحيح ، استهل بما ورد في ركنية الفاتحة ، مبيناً أصل ومبرئ الخلاف في المسألة

ترجح : ثم يخلص إلى القول بعدم افتراض القراءة على المؤتم مطلقاً ، واستحباب قراءة الفاتحة أو سنيتها في السرية ، ولما لم يثبت استحباب سكتات الإمام ، لم يقولوا بالقراءة في السكتة ، كما ذهب إليه جمع من المحدثين .

الخاتمة والملحق : وختم الكتاب بحكم قراءة الفاتحة في صلاة الجنازة مرجحاً دليلاً من قال باستحباب القراءة فيها .

وزاد من قيمة الكتاب ملحقان اثنان : أحدهما لشيخ الإسلام ابن تيمية حول القراءة ، والثاني لحافظ المغرب ابن عبد البر ، رحمهما الله ، وقد بلغ الملحقان أكثر من خمسين صفحة .

- ٤ -

وبعد ، فهذا الكتاب حديث وفقه ، يتصل بأعظم ركن من أركان الإسلام بعد الشهادتين ، يدرّب القارئ على الاستدلال والمناقشة ، ويأخذ بيده في دراسة الفقه على بصيرة ، وفي تضاعيفه تجد كثيراً من المسائل الحديثية والأصولية وغيرها .

وقد صدر هذا الكتاب بطبعة جديدة ، فيها عمق الموضوع مع جمال الإخراج ، وزوده المحقق بمقدمة عن الموضوع والمؤلفات ثم ترجمة المؤلف . وأضاف إليه تعليقات ونصوصاً ، وخرج أحاديثه وترجم لبعض أعلامه ، وصنع لها فهارس تعين على الإفادة منه .

وهذا لا يمنع من إبداء ملاحظة هامة ؛ فالكتاب عليه حاشية للمؤلف نفسه ، التقط منها المحقق بعض الفوائد وأثبته في الكتاب ، ولو طبع الكتاب كاملاً لكان أكثر فائدة ، وإن كان سيؤدي إلى زيادة حجم الكتاب إلا إن كان القصد مصروفاً إلى الكتاب نفسه دون حاشيته .
ووفق الله العاملين والمخلصين والحمد لله رب العالمين .

مراجعات في عالم الكتب نظريّة الضرورة الشرعيّة جدواها وضوابطها

تأليف : د. جميل بن محمد مبارك

عرض : هيتم الحداد

إن موضوع الضرورة من الموضوعات الهامة التي ينبغي على الدعاة وطلبة العلم الإللام بها ، ومعرفة حدودها وضوابطها ، ذلك إن الساحة الإسلامية على وجه العموم والعمل الإسلامي على وجه الخصوص قد جدت فيه أمور غير مألوفة وأحوال قد تضرر المسلم إلى الواقع فيما أصله المنع ، وقد بلغت هذه الأحوال من الكثرة حتى أصبح المسلم يواجهها في عدة صور وربما في كل يوم .

خذ أخي القارئ مثلاً على ذلك وهو السفر إلى بلاد الكفار ، لقد أصبح المسلم عرضة لهذا السفر كثيراً ، فقد يطرد المسلم من بعض بلاد المسلمين لا يجد له المأوى إلا في بلاد غير إسلامية ، وقد يضيق عليهم في الرزق ولا يجد سعة فيه إلا عند الكفار ، بل قد يضيق عليه في دينه ودعوته ويجد فسحة في ذلك سلائف - في البلاد التي يحكمها يهود أو نصارى .

وقد تضطره متابعة التعليم إلى الذهاب إلى هناك والإقامة بين أظهرهم رحراً من الزمن ؟ أليست هذه أحوالاً استثنائية لم تكن معهودة من قبل ؟ إذا كيف يواجه المسلم - وخصوصاً الداعي - مثل هذه الأحوال وهل هي أحوال ضرورة تبيح له ما كان محظوراً ؟ إذا ما هي حدود الضرورة وما هي ضوابطها .

جواب هذه الأسئلة وغيرها تجدها في كتابنا هذا الذي نقدم تعريفاً موجزاً له . وموضوع الضرورة قد تناوله الفقهاء في كتب الفقه على صورة أحكام فرعية متفرقة في عدة مواطن ، ولم يتحدثوا عن ضوابطها وحدودها ، وتعرض لها الأصوليون في كتب القواعد الفقهية - على وجه التخصيص - وغيرها ولكن بصورة غير مستقلة . فكانت هناك حاجة لمن يجمع شتات هذا الموضوع، ويجلب ضوابط الضرورة وحدودها، حتى يسهل تفريع الأحكام عليها .

ومن الكتب المهمة التي جمعت شتات هذا الموضوع في بحث مستقل كتاب "نظريه الضرورة الشرعية حدودها وضوابطها" .

وقد جاء هذا البحث منسقاً متناسقاً ، أتى فيه مؤلفه على جميع ما يتعلق بالضرورة من ضوابط وحدود بصورة واضحة، فاستطاع من خلاله أن يثبت، أن الإسلام جاء بنظرية متكاملة شاملة للضرورة ، جعلته أيسر الشرائع وأكثرها ملائمة للحياة .

وقد قسم البحث هذا إلى أربعة أبواب بالإضافة إلى المقدمة والخاتمة :

* فقد ذكر في الباب الأول تعريف الضرورة وأدلة مراعاتها، وعلاقاتها بالمشقة، والأسباب المؤدية إلى الضرورة ، ومدى أثرها في إباحة المحظورات .

* أما الباب الثاني فقد خصصه لبعض المصطلحات الأصولية التي لها علاقة بالضرورة مثل الاستحسان وسد الذرائع .

* ومن أهم أبواب الكتاب الباب الثالث ، حيث تناول المؤلف فيه ضوابط الضرورة .

* ولربط الموضوع ببعض الفروع الفقهية المعاصرة أفرد الباب الرابع لحديثه عن بعض الأحكام المترتبة على الضرورة .

ومن أهم ما يتميز به هذا الكتاب :

- أنه يبدأ بتأصيل القاعدة وتوضيح حدودها وضوابطها ثم يذكر جملة من الفروع الفقهية التي تبني على هذه القاعدة .

لم يكن المؤلف جاماً في نقله عن سبقه من العلماء أو الباحثين، بل كان ينقل أقوالهم ويعمل نظره فيها بقوة، فيناقشها مناقشة هادئة مبنية على الأدلة والقواعد العامة للشريعة ، ثم على الواقع ، انظر إليه مثلاً . وهو يناقش تعاريفات الفقهاء للضرورة وما على هذه التعاريفات من مأخذ ، ثم تجده

هدية لمكتبة شبكة مشكاة الإسلامية

يخرج بتعريف مستقل يقول فيه (خوف الهلاك أوضرر الشديد على أحدالضروريات للنفس أو الغير يقيناً أو ظناً إن لم يدفع ما يدفع به ال�لاك أوضرر الشديد) (١) .

- مما ينبغي على الباحثين الآن عدم الجمود على الأمثلة التي ذكرها الفقهاء السابقون ، بل لا بد من ضرب أمثلة حية لها صلة وثيقة بواقع المجتمعات الآن ، وفي هذا من الفوائد جعل العلم أقرب مأخذًا من قبل الناس ، فينما شعورهم بأن هذه الشريعة قادرة على معالجة مشكلاتهم ، ثم إنه يجعل الفقيه أكثر تفاحًا ومعرفة بمشكلات العصر ، وقد أجاد كاتبنا هنا أيمًا إجادة .

فمن ذلك أنه أفرد باباً مستقلاً في تطبيق نظرية الضرورة الشرعية على بعض القضايا المعاصرة ، وما أورد فيه : أحكام السفر إلى بلاد الكفار وبعض الأحكام التي تتعلق بال المسلمين الذين يعيشون في هذه البلاد ، وأورد أيضًا مسألة التداوي بالمحرمات عند الضرورة ، ثم اقرأ ما كتب عن محاولات تبرير الفوائد الربوبية بالضرورة .

ومن أجمل ما في الكتاب أنك تقرأه فتشعر بأنه يتكلم عن واقعك وما يعانيه المسلمون من مشكلات ، وهذه نتيجة تلقائية لضرب الأمثلة الحية من واقع الناس .

يقول تحت عنوان العوامل التي تؤدي ببعض المفتين إلى الإفتاء بالضرورة في غير محلها (١) :

(...) ، ٣- سيطرة روح التيسير ورفع الحرج عن عقول كثير من الذين يفتون بالضرورة في غير مكانها ، ولعل طغيان هذه الفكرة ينبع أحياناً من الرغبة في تحبيب الدين للناس، بعد أن أصبح الدين في أنفسهم مهلاً ، وكادوا يعبدون الله على حرف..).

(٤- تعرض المفتى لبعض الضغوط من جهات معينة ترغبه في استصدار فتوى توافق ما تميل إليه ، فيخضع المفتى لهذه الضغوط ، ويلجأ إلى مثل هذه العمومات إسناداً لفتواه ، كرفع الحرج عن الأمة والتيسير والأخذ بقاعدة الضرورات).

(٥- تورط بعض المفتين في مثل تلك القضايا التي يسألون عنها في حياتهم الشخصية فيحملهم ذلك على البحث عن مخرج في الشريعة لما يعيشون من تلك القضايا ، حتى لا يتهموا بالخروج عن النصوص الشرعية، وحتى لا تتعارض فتاواهم للناس مع ما يمارسونه في شئونهم ، فإذا لم يجدوا موئلاً في النصوص لجأوا إلى آيات التيسير ورفع الحرج).

(٦- عدم العلم الدقيق بتلك القضايا وعلم إحاطتهم بملابساتها..)

بقي أن نقول إن الكتاب من طبع دار الوفاء للطباعة والنشر بالمنصورة وقد جاء في ٤٩٤ صفحة مع المراجع وفهرس الموضوعات .

الهوامش :

١- نظرية الضرورة ، ص ٢٨

٢- نظرية الضرورة ، ص ٢٩٨

شعر

هجوم السلام

عبد الرحمن بارود

يا حمام السلام.. عُذْ يا حمام! لا يَفْلُّ الْحَسَامَ إِلَّا الْحَسَامُ!
في زمان الصقور.. صِرْتُم حَمَاماً! كيف يَحِيَا مَعَ الصُّقُورِ الْحَمَامُ؟

مكتبة شبكة مشكاة الإسلامية

هدية لمكتبة شبكة مشكاة الإسلامية

ولماذا يُطْبَلُ الاعلام؟
غير: (عاش السلام) (يحيى السلام)?
منذ أن غلّنا (اللثني) (٢) الهمام
تاجز البن دق ية اللحّام؟

أيُّ عُرسٍ هُذَا؟ تَزْفُونَ مَاذَا؟
ثَكِيلَاتٌ أَمْكُمْ.. أَلِيسَ لَدِيكُمْ
وَالخُواجا (شيلوك) (١) فِي الدِّبْحِ ماضٍ
أَوْ غَيْرِ السَّاطُورِ يُنَصِّرُ شَيْئًا

وَرَأَيْ خَنَاجِرُ وَسَهَامُ
وَقَدْ احْمَرَ بِالْأَهِيبِ الظَّلَامُ:
أَيْهَا الْعَاشِقُونَ فَاضَ الْغَرَامُ
أَثْبَتَ الْفَعْلُ مَا نَفَاهُ الْكَلَامُ
مِنْ رَكْوَعٍ تَصْطَاثِيْ مِنْهُ الْعَظَامُ؟
مُسَخَّ الطَّبِيبُ... فَالْطَّبِيبُ الْجَذَامُ

فِي مَهْبَبِ الرَّدَى... أَمَامِي رِصَاصُ
قُلْتُ إِذْ غَرَّدْتُ صَوَارِيخٍ (٣) قَوْمِي
أَعْلَيْنَا.. وَأَنْتِ غَرْسُ يَدِينَا؟
لَيْسَ بَعْدَ الْيَقِينِ - يَا عَيْنُ - شَكُّ
مَعَ مَنْ أَنْتُمُو؟ وَهَلَا رَفَعْتُمْ
مُسْكَحَ الْحَبْ.. فَالْحَبِيبُ غُورِيلَا (٤)

أين تهلا (الْعَمْ سَامُ)
و(نَعَمْ) .. رفرفت لها الأعلامُ
أم (سَلَومِي) (٦) لها تدارُ الْمَدَامُ
وتخلّى عن الرُّعُودِ الغمامُ
وقد أُولَالِ الْحَرَامُ

أيَّنْ ملِيَارُ (لا)؟ وَمليارُ (كلا)؟
قُتِلَتْ (لا) حبِيَّةُ الْعُمُرِ غَدَرًا
أَتَزْفُ الْقِيَامُ (إِسْتِيرَ) (٥) أُخْرَى!!
عَادَتِ النَّارُ فِي الْبَرَّاكِينَ ثَلَجًا
قَدْ قَاتَبْتُمْ كُلَّ الْمَوَازِينَ قُلْبًا

فِيْكُمْ تَفْخِرُ الْكَشْوَفُ الْعِظَامُ
وَأَخْوَنَا ذُو الْغِبْطَةِ الْحَاخَمُ؟
فَامْضِ بِلَافْوُرٍ.. مَا عَلَيْكَ مَلَامُ
أَهْجُومُ هَذَا أَمْ اسْتَسْلَامُ؟
عَضَّ فِلَّاَيَ الْمَعَارِضَيْنَ الْجَامُ
وَمِنَ النَّاسِ - إِيْ وَرَبِّي - نَعَامُ

تابعوا الكشف يا زعاماتِ قومي
أيهودية فلسطين أيضًا؟
أو هذا وعد لبلفور ثان؟
أيها البائعونَ حيفا ويفا
قد جلبتُم عارَ الزمان.. ولكن
ومن الناس - يا جميل -.. قرودٌ

أَوْ صَاحِبُونَ أَنْتَمُوا أُمّ نِيَامُ؟
شَدَّ مَا غَيَّرْتُكُمُ الْأَيَامُ !!
الْعَمَالِيَقُ عَنْهُمْ أَفْزَاعُ
عَقْمِثُ عَنْ نَظِيرِهِ الْأَرْحَامُ
لَا فَطِيعُ يِسَاقُ .. لَا أَصْنَامُ
وَجْهُورٌ فِيهَا أَفْعَاعُ عِظَائِمُ

وَقَعَ السَّقْفُ يَا صَنَادِيدَ قَوْمِيْ
أَيْنَ فَتْحٌ؟؟ وَأَيْنَ : (إِنَّا فَتَحْنَا)؟
سُورَةُ الْفَتْحِ أَنْزَلْتُ فِي رَعِيلٍ
نَفَرُوا خَالِفَ قَائِدٍ مِنْ قَرِيشٍ
لَا دُمَىٰ .. لَا تَأْمَرُ .. لَا ذِئْابٌ
قَاتِلَتْكُمْ أَزْقَأَتْ لَوْا!

الهوامش :

- ١- التاجر اليهودي السفاح في قصة شكسبير : تاجر البدقية .
 - ٢- قائد القوات البريطانية التي دخلت القدس في الحرب العالمية الاولى
 - ٣- كنایة عن التنازلات والاعتراف .
 - ٤- اليهود .
 - ٥- امرأة يهودية تزوجها الملك قورش وكانت سبب مذبحة للفرس .
 - ٦- امرأة يهودية داعرة بسببها قطع رأس سيدنا يحيى، -عليه السلام- .

مقالات

في موسم الجفاف : يُجْتَثُ نخانا وينمو غرقدُهم !!

خالد بن صالح السيف

التعامل مع النصوص وفق فهم سلفي منهجية يتجاوز بها ما يعثور الفهوم الفاسدة من الخطل وانعدام الرؤية الشرعية تجاه قضايا الأمة بعامة .

وحسبي أنه مخاض لمسخ دلالة النصوص ، واعتساف لتأول ذات الدلالة التي يقتضيها . ويلتزماها ظاهر النص ((ولا ترکنوا إلی الذین ظلموا فَتَمَسَّکُمُ النَّارُ وَمَا لَکُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أُولَیاءٍ ثُمَّ لَا تُنَصَّرُونَ)) وبعد :

فتلة مسلمة بدھية تستجيب تلقائياً لمعطى المنهجية السالفة تستوعب الموقف - العقدي - الممتد في وضح النهار من "مدرید"إلى"واشنطن"الحافل بإضاءة الإدارة الصليبية ومبركتها!!

((ولَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَبَعَ مُلْتَهُمْ))

((ضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الدَّلْلَةُ أَيْنَ مَا تُقْفِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحْبَلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَأْعُدُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ..)).

إن محض الحقيقة في صراعنا مع اليهود كفانا القرآن مؤنة استكانها حيث راحت سياقاته

تكرس المفاصلة العقدية ليس غير، وتمنحنا آياته بعدها في فهم العقلية اليهودية ضمن روئ

مستقبلية : ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَخَذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أُولَيَاءَ بَعْضُهُمُ أُولَيَاءَ بَعْضٍ وَمَنْ

يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ

يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٌ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسْرَوْا فِي

أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ * وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهُؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهَدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعْكُمْ حَيْطَتْ أَعْمَالُهُمْ

فَأَاصْبَحُوا خَاسِرِينَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنِ دِيَنِهِ فَسُوفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحْبِبُهُمْ

وَيُحِبُّوْنَهُ أَذْلَلَةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعْزَزٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَا إِيمَانَ ذَلِكَ

فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)) (١) .

فهل ثمة أرض؟ ! وشعب؟ ! وحلٌ سلمى؟ ! ودماء فلسطينية يسأل عنها الفلسطينيون وحدهم لل بت في تقرير مصيرهم؟ ! أم إنها القيادات واستجاباتها لمرحلة النظام العالمي الجديد باستخدا ، وهي تتمت مسبحة بحمد نزع الفتيل ! تبلغها الخشية فتسجد "سلاماً" على المذهبية الأمريكية بصلة ثلاثة ؛ يهودية!! مسيحية !! إسلامية !!

على رسلكم أيها - المدريديون - فالصراع العقدي لا تستطيع أن تغتاله أيدي المآتمرين على الموائد المستديدة رغبة في إجهاض الجهاد الحل الصائب لأبعاد القضية . ومهما "حاول أعداء المؤمنين أن يرفعوا للمعركة راية غير راية العقيدة ، راية اقتصادية أو سياسية أو عنصرية كي يموهوا على المؤمنين حقيقة المعركة ، ويطفئوا في أرواحهم شعلة العقيدة"(٢) لأن "الذي يغير راية المعركة ، إنما يريد أن يخدعهم عن سلاح النصر الحقيقي فيها"(٣) .

وما سلاح النصر الحقيقي إلا فريضة الجهاد.. ذرولة سنام الإسلام ، ليس غير . "إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم بأذناب البقر وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه عنكم حتى تراجعوا دينكم"(٤) وما المراجعة إلا العودة إلى الجهاد .

هدية لمكتبة شبكة مشكاة الإسلامية

ما سلف ارتأيته تقدمةً فحسب ، لنقف وإياك على بُعدِ دلالي يتضمن ذات المفاصلة بين المسلم ، واليهودي يمتنع معها الالقاء ويتعرّض التفاوض ابتداءً ، لتبين الطباع وما جبلا عليه ومن قبل ما ألمنا عليه في الجانب العقدي :

عن عبد الله بن عمر أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : "إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وهي مثل المسلم حدثوني ما هي ؟ فوق الناس في شجر البدية ، ووقع في نفسي أنها النخلة قال عبد الله : فاستحييت ، فقالوا : يا رسول الله ، أخبرنا بها ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هي النخلة . قال عبد الله : فحدثت أبي بما وقع في نفسي فقال : لأن تكون قلتها أحب إلي من أن يكون لي كذا وكذا"(٤) قال ابن حجر -رحمه الله- في الفتح : "ووقع عند المصنف في الأطعمة من طريق الأعمش قال : حدثني مجاهد عن ابن عمر قال : "بينا نحن عند النبي - صلى الله عليه وسلم - إذ أتي بجمار ، فقال : إن من الشجر لما بركته كبرة المسلم" وهذا أعم من الذي قبله ، وبركة النخلة موجودة في جميع أجزائها ، مستمرة في جميع أحوالها ، فمن حين تطلع إلى أن تبيس توكل أنواعاً ، ثم بعد ذلك ينتفع بجميع أجزائها حتى النوى في علف الدواب والليف في الحبال وغير ذلك مما لا يخفى ، وكذلك بركة المسلم عامة في جميع الأحوال ، ونفعه مستمر له ولغيره حتى بعد موته"(٥) . ويبدو أن العلامة ابن حجر لم يشاً أن يُفيض في تعداد أوجه الشبه وإلا فأوجه الشبه ربما تتجاوز ما ذكره ولم يكن ثمة حصر يبتغيه فالمسلم والنخلة وجهان لحقيقة الوفاء والصدق والبر والنفع المطلق و... و... وأما اليهودي فنقيض المسلم جملة وتصحيلًا ، ولست في هذه المقالة أرصد الفروق وأستجلّي نعوت اليهودي وهي من الاشتهر بمكان لا مشاحة فيه حيث النصوص المستفيضة من صريح القرآن وصحيح السنة .

غير أنني سأوظف حديث أبي هريرة بالإسقاط على اليهودي حيث "الغرقد" ومبدأ الخيانة في مرحلة "تدجين" النخل والغرقد بين سباخ "مدريد" وقيعان "واشنطن" استلهاماً لتأثير جديد - جنس ثالث - يصنّعه نظام عالمي .

عن أبي هريرة - رضي الله عنه- أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : "لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر أو الشجر : يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي فتعال فاقتلنه إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود"(٦) .

بهذا الحديث الصحيح نمزق غشاوة التشاوم . ونحرق أسباب المهزيمة.. وتُنْتَفَ أعمدة(؟) الجن والهوان . كل ذلك نستدعيه بأسباب التمكين وأدوات النصر على امتداد أجيال هذه الأمة ، مع تعاطي "جيل مدريد" الأسباب المشروعة في الإعذار إلى ربكم ، وعلى أضعافه بث الوعي في "الجيل المدريدي" تجاه المفاصلة العقدية بين المسلمين ويهود مع استقرار حيثيات الموائد المستديرة إبانها نعي لعبة "العسكري والحرامي" ونُكَبُرْ بوعينا العقدية على تطبيق التطبيع وزمامرة السلام!! ولنعد مرة ثانية إلى حديث أبي هريرة - رضي الله عنه- حيث الاستثناء "إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود" استثناء خيانة وغدر وليس منقطعاً أو متصلًا !!

استجابة ربانية لـ يوم النصر يتضافر فيها المسلم والجماد - الحجر والشجر - لتحقيق الوعد القاطع "يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي فتعال فاقتلنه" منتهي الاحتفاء بالمسلم ويوم نصره ومشاركة فاعلة للقضاء على المفسدين في الأرض ((وَيَوْمَئذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرٍ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ * وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا * وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ)) [الروم ٧-٤] .

الغرقد وحده يحالف اليهود استجابة بدهية للطبع المشتركة فيما بينهم وحينها يلوذ بالصمت خيانة وغدرًا "إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود". فأي "سلام" مع أقوام هذه "طبع" شجرهم؟! يبدو سؤالاً ساذجاً... ييد أنه يتضمن إجابة تقريرية تستخلص بداهة من حديث أبي هريرة والله المستعان .
بقي أن نقف على شيء من إرهادات قرب ذلك التحقق ، حيث تسخير الله سبحانه وتعالى-
لليهود بزراعة هذه الشجرة "الغرقد" حول المستوطنات التي أقاموها على أرض فلسطين على هيئة أسوار نباتية مانعة لأن له أشواكاً قوية حادة خطافية، كما أن له وجوداً في الأصل في فلسطين والأردن وذلك على السفوح الصخرية ويعرف فيها بهذا الاسم: "الغرقد". وجاء في علوم الطبيعة أن "أشهر أنواعها خشب الأنبياء وخشب القديسين"(٧) .

تجاوزت الخلاف بين المعينين في "علم النبات" حول حقيقة "الغرقد" وأثبتت ما جاء في "الموسوعة في علوم الطبيعة" السالف ، لكونه يحمل دلالة لا أحسبها تغيب عن حس كل مسلم يمت بسبب الشبه إلى وجه الشبه بينه وبين النخل ..

الهوامش :

- ١- انظر ما كتبه سيد رحمة الله- في ظلاله حول هذه الآيات من المائدة إلى الآية رقم ٥٩
- ٢- سيد قطب ، معلم في الطريق ص ١٨٥
- ٣- سيد قطب ، معلم في الطريق ص ١٧٦
- ٤- البخاري في العلم والأدب والأطعمة ومسلم في صفات المنافقين
- ٥- فتح الباري ج ١ ص ١٤٥-١٤٦ ط . دار المعرفة لبنان
- ٦- مسلم في الفتنة والترمذى وابن ماجه في الفتنة أيضاً
- ٧- الموسوعة ، المهندس ادوار غالب ص ٢٠٣

أثر الضعف الخلقي في سقوط الأندلس (٢)

د. حمد السحيبياني

ذكر الكاتب في المقال السابق أن مما تم خوض عن انحراف المسلمين في الاندلس عن منهج الله ثلاثة نتائج : الأنانية وحب الذات ، والتشبه بالعدو وتقليله ، وانتشار المجون والخلاعة ، وقد تحدث في المقال السابق عن الأنانية وحب الذات ، ويتبع هنا الحديث عن النتيجتين الآخريتين .

٢- التشبه بال العدو وتقليله :

حينما دخل المسلمون بلاد الأندلس كانت لهم شخصيتهم الإسلامية المستقلة ، التي تميزوا بها عن غيرهم من الشعوب والأمم ، وقد ظلوا خلال القرون الثلاثة الأولى للوجود الإسلامي هناك محافظين على تلك الشخصية التي تأسلت فيها الأخلاق والقيم النبيلة ، ولكن حينما اعترى وجودهم الضعف ، وعصفت بهم الفتن ، وخف الواقع الديني عند بعضهم بدأوا بالتخلي عن بعض تلك الأخلاق والتأثير بأخلاق وعادات غريبة عليهم وعلى مجتمعهم ، الأمر الذي جعل شخصيتهم الإسلامية تأخذ بالاضمحلال ويسري فيها الضعف .

وقد أدرك هذا الأمر ابن خلدون حيث قال : " .. إذا كانت أمة تجاور أخرى ولها الغلب عليها فيسري إليهم من هذا التشبه والاقتداء حظ كبير كما هو في الأندلس لهذا العهد مع أمم الجلالة فإنك تجدهم يتتبهون بهم في ملابسهم وشاراتهم والكثير من عوائدهم وأحوالهم حتى رسم التماشيل في الجدران والمصانع والبيوت ، حتى لقد يشعر من ذلك الناظر بعين الحكمة أنه من علامات الاستياء والأمر الله" (١) .

كما ذكر ابن الخطيب أن جند مسلمي الأندلس تشبهوا بالنصارى في زيه وأسلحتهم (٢) ، ولم يقتصر الأمر على هذا، بل إن بعض مسلمي الأندلس قد النصارى في الاحتفال بأعيادهم ومناسباتهم الدينية (٣) .

وهناك فئة أخرى من المسلمين كانت تحضر مجالس النصارى وتشاركهم أفرادهم ، ومن هؤلاء منذر بن يحيى - صاحب سرقسطة - فقد بالغ في التشبه بالنصارى وموالاتهم حيث كان يحضر عقود المصاورة التي كانت تتم بين ابنائهم (٤) .

كما أن حسام الدولة يحيى بن عبد الملك - صاحب مدينة شنطورية - كان يقلد النصارى في اقتناء القرود حيث أهدى إليه ألفونسو السادس ملك قشتالة قرداً كان يفخر به على ملوك الأندلس (٥) . وقد أدى التشبه بالعدو وتقلیده عند أولئك القوم أن "ذل الرئيس والمرؤوس وافتقرت الرعية وفسدت أحوال الجميع بالكلية وزالت من النفوس الأنفة الإسلامية" (٦) .

ومما لا شك فيه أن هذا الانهزام الذي مني به المسلمون في ذلك الوقت حينما تأثروا بالنصارى قد تخض عنه كسر الحاجز النفسي الذي كان موجوداً عند المسلمين إزاء العدو النصراني الأمر الذي جعل مخالطتهم أو التأسي بهم أمراً مألوفاً عند بعض المسلمين هناك ، ولهذا خرجوا إلى ميادين الجهاد وهم غير آبهين بالعدو ولا مستعدين لحربه ، وقد ترك لنا الشاعر ابن الجدي وصفاً لأهل بلنسية وهم خارجون لمقابلة العدو النصراني غير مبالين بالعدو ولا آخذين بالعدة حيث قال :

لبسو الحديد إلى الوجه ولبستم حل الحرير عليكم الوايا
ما كان أقبحهم وأحسنكم بها لو لم يكن بيطرنة (٦) ما كانوا (٧)

هكذا زالت مهابة المسلمين عند النصارى حينما تخلوا عن أصالتهم وقيمهم الإسلامية حيث أصبحوا حقيرين في عين العدو وأقل من أن يهتم بهم ، وقد بين هذا الأمر ألفونسو السادس - ملك قشتالة - حيث قال لرسول المعتمد بن عباد لما قدم إليه : "... كيف أترك قوماً مجانيين تسمى كل واحد منهم باسم خلفائهم وملوكهم وكل واحد منهم لا يسل في الذب عن نفسه سيفاً.. وكيف يحل لبشر أن يقر منهم على رعيته أحد وأن يدعها بين أيديهم سدى" (٨) .

٣- الخلاعة والمجون :

كان من مظاهر الضعف الخلقي عند مسلمي الأندلس في عصر ملوك الطوائف انتشار كثير من الأوجاع الخلقية بينهم ، كالمجون والخلاعة وشرب الخمر والاستغراق في الملاذات الجسدية والإكثار من الجواري والنساء حيث كان هذا الأمر قاسماً مشتركاً بين كثير من ملوك الطوائف (٩)

وقد أسلوب المؤرخون في الحديث عن هذا الأمر ، فقد ذكر ابن حيان أن قرطبة حاضرة المسلمين هناك أصبحت مرتعاً خصباً لمزاولة تلك الرذائل ، حيث كان ملوك الطوائف إذا احتاجوا إلى شيء من الملهيات يرسلون رسالهم إلى قرطبة للبحث والتنقيب عن الأوصاف التي يريدونها من الجواري ، وأنه في شوال سنة ٤٢٢هـ ورد على أبي الوليد بن جهور في قرطبة رسول المظفر بن الأفطس يلتزم شراء وصائف ملهيات يأنس بهن فوجد له صبيتين ملهيتين عند بعض التجار واشتراهما له (١٠) .

هدية لمكتبة شبكة مشكاة الإسلامية

كما ورد على أبي الوليد بن جهور بقرطبة من الكتب في يوم واحد كتاب من ابن صمادح صاحب المرية يطلب فيها جارية عوادة ، وكتاب من ابن عباد يطلب جارية زامرة (١١) .

وقد اشتهر المعتصد بن عباد بأنه كان "له كلف بالنساء وخلط في احباسهن فانتهى في ذلك إلى مدى لم يبلغه أحد نظرائه" كما أن المعتمد بن عباد كان مولعاً بالنساء حيث خلع ثمانمائة امرأة من أمهات الأولاد وجواري المتعة وأماء الخدمة (١٢) .

وكان مجاهد العامری صاحب دانیة والجزر الشرقیة ذا شخصیة مزدوجة "فطوراً كان ناسكاً، وتارة يعود خليعاً فانکاً لا يسائز بلهو ولا لذة، ولا يستفيق من شراب وبطالة ، ولا يأنس بشيء من الحقيقة ، له ولغیره من سائر ملوك الطوائف في ذلك أخبار مؤثرة (١٣)، أما هذيل بن خلف بن رزین صاحب شنتمریة فقد كان من أرفع ملوك الطوائف همة في اقتناه القیبات حيث اشتري جاریة بثلاثة آلاف دینار (١٤) .

هذا غرق أولئک القوم في مستنقع الفحش والرذيلة ، وقد استغل هذا الأمر بعض الوزراء والموظفين الذين رغبوا أن يستبدوا بالحكم والسلطان، فأشغلوا حکامهم بإغراقهم في الملاذات، وإشغالهم بالنساء اللائي كثرن وأخذ الكثیرات منهن تطمح في ولاية من تربیه من أبناء السلطان حتى يكون لها الحظوة والغلبة (١٥) . ويذكر الأمير عبد الله بن بلقين أن إشغال الحکام بالنساء كان أمراً مألوفاً عند وزراء بني بلقين في غرناطة (١٦) .

أما شرب الخمر في قرطبة وغيرها من بلدان ملوك الطوائف فيبدو أنه أصبح أمراً لا غرابة فيه في ذلك العصر ، ولهذا لما حاول ابن جهور منها مدحه الشعراء ومنهم ابن زيدون وعبد الرحمن بن سعيد المصغر (١٧) ، كما ذكر المقری أن وادي اشبيلية لا يخلو من جميع أدوات الطرف وأن شرب الخمر فيه غير منكر (١٨) .

ولعل القارئ لدواوين الشعر في ذلك الوقت يدرك كيف أن وصف الخمرة والتغنى بها كان أمراً مألوفاً عند كثير من شعراء ذلك العصر حتى قال أحدهم (١٩) :

فجل حياتي من سكرها جرت مني الخمرة مجرى دمي

ولم يكن هذا الأمر قاصراً على فئة معينة من الناس ، بل كان كثير من الناس يقضون لياليهم أياقاً يجتمعون على الكؤوس حتى الصباح (٢٠) .

وكان للطرب والغناء نصيب عند أولئک القوم حيث كانوا يتفاخرون بكثرة آلاتها ومجيديها حيث يقولون : عند فلان عودان وثلاثة وأربعة وأكثر من ذلك (٢١) .

ولو حاولنا استقصاء ما ذكره المؤرخون حول الطرب والغناء في عهد ملوك الطوائف لطال بنا المقام ولكن قد يكون من المناسب أن نكتفي بذلك ما قاله أحد الباحثین المحدثین حول هذا الموضوع حيث قال : "فانتشرت مجالس الغناء وأصبح هذا الفن بحملته جزءاً من ثقافة الشعب" حتى لنجد الفلاح في حقله والعامل في مصنعه والفقير في كوهه لا يقل ولع أحدهم بالغناء عن الأماء والعظماء (٢٢) .

وقد بدأت أعراض تلك الأوجاع التي حلت بالمجتمع الإسلامي في الأندلس في تلك الفترة تظهر عياناً ، فقد استخف بعض الناس بالدين ، وتجروا من الأخلاق والقيم الإسلامية ، ولم يعد هناك وازع من دين أو ضمير ، فقد ذكر ابن حزم أن إبراهيم بن سيار النظام رأس المعتزلة في الأندلس عشق غالماً نصراانياً فوضع له كتاباً في تفضيل التثلیث على التوحید تقرباً إليه (٢٣) ، كما يذكر - أيضاً - أنه في ذلك العصر قد عظم البلاء فهان القبيح ورق الدين حتى رضي الإنسان بالفضائح والقبائح مقابل وصوله إلى مراده وشهوته ، وقد حکى لنا كثيراً من القصص حول هذا الموضوع منها ما ذكره حول

هديّة لمكتبة شبكة مشكاة الإسلامية

"عبد الله بن يحيى الأزدي المعروف بابن الحريري فإنه رضي بإهمال داره وإباحة حريمه والتعريض بأهله طمعاً في الحصول على بغيته من فتى كان علقه.." (٢٤) . وكان من غرق في مستنقع الرذيلة ولادة بنت المستكفي الأموي أعلنت وقوعها في هذا الأمر حيث كتبت بالذهب على طرازها الأيمن (٢٥) :

أنا والله أصلح لالمعالي وأمشي مشيتني وأتيه فيها

وكتب على الطراز الأيسر :

وأعطي قبلي من يشتهيها وأمكن عاشقي من صحن خدي

هذه أهم مظاهر الضعف في الجانب الخلقي التي حلّت بالمجتمع الإسلامي في عهد ملوك الطوائف ، وقد انعكست آثار ذلك على قوة المسلمين فأضعفتها .

ومما لا شك فيه أن هذا الضعف الذي مني به ملوك الطوائف قد جعل مسلمي الأندلس يصابون بخيبة أمل لأنهم أدركوا أن زمام الموقف أصبح بيد النصارى المتربصين ، وقد عبر عن هذا الشعور الشاعر الأندلسي ابن العسال حينما قال (٢٦) :

حثوا رواحكم يا أهل أندلس
فما المقام بها إلا من الغلط
السلوك ينثر من أطرافه وأرى سلك الجزيرة متثراً من الوسط
من جاور الشر لا يأمن عواقبه كيف الحياة مع الحياتِ في سفط

ولم يكن هذا الشعور قاصراً على المسلمين بل تعداهم إلى العدو النصراني الذي أدرك أن حصن المسلمين الداخلية قد ضعفت وأن الفرصة أصبحت مهيأة له لدخول التغور والحسون الخارجية ولها وضع خطة حربية تتناسب مع ذلك الواقع وقد أبان هذه الاستراتيجية الحربية فرناندو بن شانجه ملك جليقية أثناء حصار النصارى لمدينة طليطلة سنة ٤٧٨ هـ حيث قال لأهلها الذين خرجوا يطلبون الصلح معه لما أعيتهم المقاومة : "... ما أجيبيكم إلى سلم ، ولا أغفيفكم من حرب .. فإنما نطلب بلادنا التي غلبتمونا عليها قديماً في أول أمركم فقد سكتتموها ما قضي لكم ، وقد نصرنا الآن عليكم برداعتم ، فارحلوا إلى عدوتكم - يعني بلاد المغرب - واتركوا لنا بلادنا ، فلا خير في سكانكم معنا بعد اليوم (٢٧) ..." كما أبانها الفونسو السادس - ملك قشتالة - حيث قال لرسول المعتمد بن عباد حينما قدم إليه كيف أترك قوماً مجانين (٢٨) .

وقد صرّح بذلك النوايا والخطط الفونسو السادس ششنندو (مسنندو) حيث يذكر الأمير عبد الله بن بلقين - أحد ملوك الطوائف - في مذكراته أن هذا الوزير النصراني قال لمسلمي غرناطة قبيل سقوط مدينة طليطلة بأيدي النصارى سنة ٤٧٨ هـ (١٠٨٥ م) "إنما كانت الأندلس للروم في أول الأمر حتى غلبهم العرب وأحقوه بأنفسهم البقاء جليقية فهم الآن عند التمكّن طامعين بأخذ ظلامتهم فلا يصح ذلك إلا بضعف الحال والمطاولة حتى إذا لم يبق مال ولا رجال أخذناها بلا تكلف" (٢٩) . هكذا كسر النصارى عن أيديهم العدائية فأبأنوا خططهم . ونواياهم ضد الإسلام والمسلمين هناك ، كما بدأوا بعملياتهم الحربية والتي اسموها بحرب الاسترداد ، حيث تمكّنوا خلالها من اجتياح العديد من المدن والتغور الإسلامية ومن أهمها مدينة قلمرية وبريشتر سنة ٤٥٦ هـ (١٠٤٦ م) وطليطلة سنة ٤٧٨ هـ (١٠٨٥ م) ثم بلنسية سنة ٤٨٧ هـ (١٠٩٤ م) (٣٠) .

وبعد هذا العرض السريع فإنه بوسعنا أن نقول : إن العد التنازلي للوجود الإسلامي بالأندلس قد بدأ منذ عهد ملوك الطوائف الذين حادوا في كثير من تصرفاتهم عن الخط الإسلامي ، وإن هذا الضعف الذي مني به المسلمون هناك هو المرحلة المبكرة من مراحل سقوط بلاد الأندلس لأن المراحل التالية تعتبر امتداداً لها من حيث المسببات والنتائج .

المصادر :

- ١- الإحاطة ج ١ ص ١٣٦ ، اللمة البدريّة ص ٣٩
- ٢- ابن عذاري : البيان المغرب ٣ ص ١٧٦
- ٣- ابن الخطيب : أعمال الاعلام القسم الثاني ص ١٩٧ ، ابن عذاري : البيان المغرب ج ٣ ص ١٧٧-١٧٦
- ٤- ابن عذاري : البيان المغرب ج ٣ ص ١٧٧
- ٥- ابن الكردبوس : تاريخ الأندلس ص ٧٧
- ٦- بطرنة قرية من قرى بلنسية (ابن سعيد : المغرب ج ٢ ص ٣٥ ٥ ، المقرى : نفح الطيب ج ١ ص ١٤٧
- ٧- ابن بسام : الذخيرة ق ٣ ج ٢ ص ٨٥٠ ، المقرى : نفح الطيب ج ١ ص ١٨١
- ٨- ابن الكردبوس : تاريخ الأندلس ص ٨٩
- ٩- رجب محمد عبد الحليم : العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية في عصر بنى أمية وملوك الطوائف ص ، ٢٩٦
- ١٠- ابن عذاري : البيان المغرب ج ٣ ص ٢١٢ (نقلًا عن ابن حيان)
- ١١- المصدر السابق ج ٣ ص ٢١٢
- ١٢- ابن الأبار : الحلة السيراء ج ٢ ص ٤٣ ، ٥٣
- ١٣- البيان المغرب ج ٣ ص ٣٠٨
- ١٤- المصدر السابق ج ٣ ص ٣٠٨
- ١٥- رجب عبد الحليم : العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية ص ٢٩٦
- ١٦- مذكرات الأمير عبد الله ص ٨٥
- ١٧- ابن بسام : الذخيرة ق ١ ج ١ ص ٣٨٨
- ١٨- نفح الطيب ج ٤ ص ١٩٩
- ١٩- ابن سعيد : المغرب ج ١ ص ٣٩٦
- ٢٠- رجب محمد عبد الحليم : العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية ج ١ ص ٣٠٠
- ٢١- العذري : نصوص عن الأندلس ص ١٨
- ٢٢- محمد عبد الوهاب خلاف : قرطبة الإسلامية ص ٣٢١
- ٢٣- طوق الحمامنة ج ١ ص ١٣
- ٢٤- طوق الحمامنة ص ١٣٠
- ٢٥- المقرى : نفح الطيب ج ٤ ص ٢٠٥
- ٢٦- ابن سعيد: رأيات المبرزين ص ٥٠ ، المقرى : نفح الطيب ج ٤ ص ٣٥٢
- ٢٧- ابن عذاري : البيان المغرب ج ٣ ص ٢٨٢
- ٢٨- ابن الكردبوس : تاريخ الأندلس ص ٨٩
- ٢٩- التبيان ص ٧٣
- ٣٠- انظر في تفصيلات سقوط هذه المدن وغيرها كلا من : ابن بسام : الذخيرة ق ٣ ج ١ ص ١٨٩ - ١٩٠ ، ابن عذاري : البيان المغرب ج ٣ ص ٣٠٥ وج ٢ ص ٣٣ ، وابن عميرة : بغية الملتمس ص ٢٥٧ ، ابن الخطيب : أعمال الاعلام ج ٢ ص ٢٠٣ ، الحميري : الروض المعطار ص ٩٠ .

المسلمون والعالم المسلمون في يوغسلافيا

محمد آل الشيخ

يشهد الحج كل عام ١٥٠٠ حاج تقريباً من يوغسلافيا . ترى ما هو حال إخواننا هؤلاء ؟ وكيف وصلهم الإسلام ؟ وما مشاكلهم ؟ هذا ما سنحاول أن نعرفه في هذا المقال .

لقد قام الرئيس الهايك تيتو قبل أن يقعده المرض الذي أصاب رجله بحوالي شهر بزيارة إلى جمهورية محلية هي البوسنة والهرسك، وألقى خطاباً هناك كان أبرز ما فيه هجومه العنيف على النشاطات الهدمية لبعض الدوائر الدينية ، ومع أنه لم يسم هذه الدوائر إلا أن الجميع كان يعلم أنه يعني القيادات الإسلامية في البوسنة والهرسك .

لم يكن هذا الرجل يجهل أن عدد المسلمين في يوغسلافيا يصل إلى ٣٣% من مجموع السكان البالغين أكثر من ٢٣ مليون نسمة ، وأن جمهورية البوسنة والهرسك هي أهم معاقل المسلمين هناك ، ولكن لم تكن هذه إلا حلقة في سلسلة معاناة المسلمين اليوغسلاف الطويلة .

إحصائيات

ت تكون يوغسلافيا اليوم رسمياً من ست جمهوريات :

- ١ - جمهورية صربيا
- ٢ - جمهورية كرواتيا
- ٣ - جمهورية البوسنة والهرسك
- ٤ - جمهورية مقدونيا
- ٥ - جمهورية الجبل الأسود
- ٦ - جمهورية سلوفينيا

وبعض الأقاليم التي لم تحصل على استقلال وبقيت تحت حكم الصرب ، الذين فعلياً يتحكمون في الاتحاد اليوغسلافي كله وعلى رأسه الحكومة المركزية والجيش الاتحادي .

ويتركز وجود المسلمين في البوسنة والهرسك ، فهم يشكلون ٥٦% من مجموع السكان البالغ خمسة ملايين ونصف ، وفي جمهورية مقدونيا بنسبة ٢٤% من مجموع السكان البالغ مليونين ونصف وجمهورية الجبل الأسود بنسبة ٢٣% من مجموع السكان البالغ ٨٠٠ ألف ، وإقليم كوسوفو بنسبة ٩٣% من مجموع السكان البالغ مليونين و ٦٠٠ ألف ، وأعداد قليلة متوزعون في باقي البلاد ولا تتجاوز نسبتهم ٣-٢% .

وترجع أصولهم في الغالب إلى أحد ثلاثة أعراق هي : أصول سلافية وهم سكان البلاد الأصليين ويسكنون غالباً في جمهورية البوسنة والهرسك ، وأقليات قليلة في باقي المناطق ، وأصول تركية ويشكلون ٩٣% من مسلمي مقدونيا وهم في يوغسلافيا كلها اليوم لا يتجاوزون ٤٠٠ ألف مسلم ، وأصول ألبانية وهم حوالي مليونان ونصف، ويتركزون في كوسوفو والجبل الأسود .

ويبلغ عدد المسلمين في يوغسلافيا كلها ما يزيد عن سبعة ملايين ويشكلون مع الصرب أكبر (قوميتين) في يوغسلافيا اليوم .

دخول الإسلام إلى يوغسلافيا

يرجع دخول الإسلام وتمكنه في البلاد إلى عاملين مهمين : الأول هو الفتح العثماني عام ١٤٦٣ م حيث لم يكن فيها مسلمون قبل ذلك . والعامل الثاني هو الترحيب الذي لقيه العثمانيون من شعب البوسنة فقد كانوا يعانون من اضطهاد الكنيسة الكاثوليكية لهم بسبب اختلاف المذهب . فوجدوا في

حكم الإسلام متتفساً لعقائدهم ، ثم وجدوا فيه بعد فترة عقيدة أكثر ملائمة لفطرتهم ، فاعتنقوه عن رغبة واقتناع ، ثم تجاوز الأمر ذلك فأخذوا يدخلون في الإسلام بشكل جماعي .

ثم أصبحت البوسنة بعد ذلك ولاية عثمانية ، فهاجر إليها مجموعة من المسلمين الأتراك ، وأولتها دولة الخلافة عناية خاصة في المنطقة ، فساعد ذلك على إنشاء المدارس والمساجد والمكتبات العامة . فعرفت البلاد لغات أخرى مثل التركية والعربية إضافة إلى لغة القوم الأساسية وهي الصرب - الكرواتية ، فساعد هذا كله على ظهور حضارة وثقافة جديدة خاصة بالبلاد ميزتها عن جيرانها . حيث شهدت تطوراً ثقافياً حقيقياً سبقت به غيرها من الشعوب المجاورة بفضل الإسلام ، مع أن أصل سكان البوسنة هم خليط من الصرب والكرواتيين إلا أنهم شهدوا بدخولهم الإسلام ما لم يشهده جيرانهم .

ظهور قومية جديدة

لم يعد خافياً على أحد هذا التطور المهم الذي حصل لشعب البوسنة ، وكل من زار المنطقة في تلك الفترة شهد بذلك ، ولا يصعب عليه التعرف على العادات والأخلاق الجديدة التي اكتسبوها من الإسلام ، فكان لها أثر هام في نشوء رابطة قوية بين أبناء الدين الجديد (الإسلام) متوازيين بذلك أصولهم العرقية ، وما لبثت هذه الرابطة أن تمكنت منهم وأخذت بعداً ثالثاً هو الإقليم ، فكانت بذرة لنشوء قومية جديدة في المنطقة اسمها القومية الإسلامية ، وهي ليست كما يفهمها المسلمون اليوم ربطاً يربط المسلم بأخيه المسلم كان عرقه أو لونه ، وإنما هي قومية خاصة تربط سكان تلك المنطقة المسلمين فيما بينهم ولا تتعادهم إلى غيرهم أو هي - كما وصفها بعض الكتاب - أقرب إلى تفاعل كيميائي استمر ٥٠٠ سنة لشعوب متباينة . ولدت شعباً واحداً لا يمكن إعادةه إلى أصوله القديمة ، وظلت هذه الرابطة الإسلامية طابعاً مميزاً لهم إلى اليوم .

بداية مرحلة المعاناة

لقد تعرض ، هؤلاء المسلمون لاضطهاد وتنكيل قل أن يتعرض له شعب آخر خاصة في طول المدة التي طال فيها التنكيل .

لقد اضطهد الصربيون المعروفون بشدة تعصيمهم الديني وقسوتهم مع خصومهم أبناءهم وإخوانهم الذين أسلموا اضطهاداً شديداً، وكذلك فعل المقدونيون والكرواتيون والجريون.

ولكن هذا الاضطهاد أدى إلى نتيجة عكسية حيث ازداد تلاحم المسلمين فيما بينهم وأدى ذلك إلى مفارقة أكثر لأقوامهم ، وبكلمات أخرى أدى ذلك إلى تبلور أوضح للرابطة الإسلامية .

وساعد على هذا الاضطهاد اضطهاد خارجي مارسته دولة النمسا-المجر (التي قامت على اتحاد هاتين الدولتين والتي كانت من أقوى دول المنطقة في ذلك العصر) ، وكانت ولاية البوسنة خط الدفاع المتقدم للدولة العثمانية، التي كانت في صراع مستمر مع دولة النمسا-المجر . فاضطروا إلى استقبال أعداد من الجيوش العثمانية ، فدارت على أرضهم حروب كثيرة بين دول عظمى في ذلك الوقت .

الانفصال عن الدولة العثمانية

استمر أمر هؤلاء البوسنيين على هويتهم الإسلامية ، وغدا رجوعهم عنها أمراً مستحيلاً ، وظلت تحت حكم العثمانيين دهراً من الزمان .

ولكنهم سخطوا على الانحرافات السلبية في أواخر عهد الحكم العثماني سواء على مستوى الدولة في المركز أو على مستوى الولايات والحكم في المقاطعات ، والفساد الذي انتشر ، والظلم الذي عم

هدية لمكتبة شبكة مشكاة الإسلامية

جميع الرعایا والشعوب مسلمین وغير مسلمین ، وهذه سنة من سنن الله في الدول إذا كتب لها الزوال ظهر الظلم وقل العدل وعميت البصائر فسخط الناس ، فأدى ذلك إلى زوالها .

وبعض مفارقات هذه القومية المحلية أنهم لم يجدوا غضاضة في طلب الانفصال عن دولة الخلافة ، فكانوا مثل بقية دول البلقان التي عمها السخط على الخلافة العثمانية فساعد ذلك على سرعة سقوط الخلافة .

وقد كان رد فعل الدولة العثمانية قوياً على هذه المحاولات فأرسلت لهم جيشاً قوياً لقمع هذه المحاولات الانفصالية . ولكن حدثت حادثة أهم من ذلك ، ففي مطلع هذا القرن حين أدت الصراعات الدولية في البلقان وتقاسم تركية الدولة العثمانية إلى إعلان دولة النمسا-المجر ضم البوسنة الهرسك إليها فأصبحت تحت الاحتلال أحد خصومهم من النصارى الذين ساموهم أشد أنواع العذاب ، وسعوا لتدمير هويتهم الدينية المتميزة في المنطقة ، فحلوا جميع الجمعيات والمنظمات والأحزاب السياسية والثقافية والدينية ، وحظروا عليهم ممارسة أي نشاط وسلبوهم كل حقوقهم ، فرد المواطنون المسلمين على ذلك بمقاومة عسكرية ومدنية ضاربة ، وأنشأوا أحزاباً ومنظمات سرية (وهو رد فعل طبيعي لأي شعب يقع عليه ظلم أو كبت) فنظموا مجابهة قوية للاحتلال ، وطلبو الاستقلال عن النمسا والدولة العثمانية معاً ، وهذا الخلط بين الدولة العثمانية والنمسا جرّ عليهم ويلات كثيرة فيما بعد .

ولقد شاء الله في تلك الأثناء أن يزور ولی عهد النمسا مدينة سراييفو عاصمة البوسنة فيقتل هناك فأرسلت النمسا جيشاً لذلك ، فطلبت البوسنة النجدة من روسيا ، فكانت هذه هي الشرارة التي كانت تنتظرها الدول الاستعمارية في ذلك الوقت لتنشب الحرب العالمية الأولى .

البوسنة والهرسك تحت حكم الصرب

لقد أفرزت هذه الصراعات الدولية ظهور دول في البلقان مثل ألبانيا وبلغاريا والميونخ وصربيا ورومانيا والجبل الأسود . ولكن الحال كان مختلفاً بالنسبة للبوسنيين ، حيث رأت الدول المنتصرة في الحرب مكافأة الصرب على تضحياتهم في حروبهم ضد العثمانيين بأن تضم لها بعض المناطق وعلى رأسها البوسنة والهرسك . (وليس خافياً على أحد ما تخفيه هذه الخطوة من أحقاد صليبية دفينية) فشهد المسلمون أصعب فترات تاريخهم (١٩١٨ م - ١٩٤١ م) فالصرب مصرون على أن البوسنة والهرسك من أراضيهم وأن شعبها جزء من أمة الصرب ، لذلك وضع الصرب سياسة قمعية تقوم على :

١- إلغاء أي كيان مستقل اسمه البوسنة ، وتقسيم أراضيها بين صربيا وكرواتيا .
٢- رفض وجود شعب بوسي متميز ، وقسم السكان حسب السلالات والأعراق السابقة عن إسلامهم

٣- سلب جميع أملاك المسلمين البوسنيين حتى الأوقاف وتحويلهم جميراً إلى أقنان وعبيد عند الإقطاعيين والملك الصرب والكرواتين .

٤- بدأ محاولات بالقوة لإرجاعهم إلى المسيحية .

٥- أغلقت جميع المدارس والمؤسسات التي تعلم باللغة العربية أو التركية أو تعلم الدين الإسلامي .

٦- تدمير جمع الرموز التاريخية التي تظهر الطابع الإسلامي للمنطقة وسكانها ، وإحراق الكتب وسلب المنازل وتدمير محتوياتها .

وطبقت هذه السياسات بأقصى صورها على المسلمين فاضطر كثير من المسلمين إلى التظاهر بتراك دينهم . وظللت المنطقة بين عامي ١٨٩٢ م - ١٩٤١ م معزولة عن العالم تعاني كل أنواع الاضطهاد

والتتكيل دون أن يعلم بها أحد ، بل إن تاريخها في تلك الفترة ظل مجهولاً ، وكأنها ليست من العالم ، أو أن أهله لا يليسا من البشر .

ثم زاد الأمر قسوة - فيما بعد - وجود حكم علماني في تركيا بقيادة مصطفى كمال الذي تنكر لكل الأقليات الإسلامية التي كانت دولة الخلافة ترعاها في الماضي ، فقد كان معادياً لكل ما يمت للخلافة العثمانية بصلة فترك المسلمون في البوسنة لوحشية الصرب وحدهم .

المسلمون تحت حكم الشيوعيين

خلال الحرب العالمية الثانية ونشوب الحرب الأهلية بين الصرب والكروات اشتراك هؤلاء في محاولة لتصفية مسلمي البوسنة ، على حد زعمهم ، فارتكتبت مذابح جماعية ضدتهم ، ونهبت أراضيهم وقسمت على غيرهم ، وقد قتل في هذه الحرب من الجميع مليونا شخص خلال ثلاث سنوات . عند ذلك برزت (جبهة الأنصار) الشيعية تنادي بوحدة يوغسلافيا ، وإعادة بنائها على أساس المساواة بين جميع الشعوب الناطقة باللغة الصربية والكرواتية ، فبادر المسلمون إلى تأييد ذلك ، ومما يجهله كثير من الناس أن المسلمين كانوا في مقدمة الثوار الذين قاتلوا في سبيل استقلال يوغسلافيا وتحريرها من الحكم النازي .

ومع ذلك تنكر الشيوعيين لمسلمي البوسنة حين وصلوا للسلطة ، وشكلوا حكومة فدرالية في البلاد ومنعوا قيام كيان مستقل للمسلمين في يوغسلافيا الجديدة ، بل إن الأمر كان أخطر من ذلك فقد استمر اضطهادهم على أيدي الصرب أيضاً (الذين استولوا على الحكومة المركزية) ، فخيرهم تباين الحال بين أن يكونوا صرباً أو كرواتاً ، وإذا رفضوا ذلك عاشوا مشردين في البلاد ! وهكذا قامت خمس جمهوريات ومنعت السادسة ، ومنع المسلمين الذين كانوا ربع السكان في ذلك الوقت من الوصول إلى مناصب عليا في الدولة أو أي منصب حساس داخل البوسنة نفسها .

ومع أن الحكم كان شيعياً إلا أنه سمح للأعراق والمذاهب والأقليات بتربية خصائصها وإبراز تقاليدها الاجتماعية والروحية باستثناء المسلمين كما وعد تباين ، ثم صدرت قوانين لحماية حقوق اليهود والمسيحيين ، وصدرت قوانين أخرى تتصادر وتمنع حقوق المسلمين . وهكذا اضطر كثير من المسلمين إلى التظاهر بعدم الإسلام للنجاة من كثير من الاضطهادات .

ومُورست سياسة الإهمال لكثير من مناطق المسلمين مثل البوسنة والهرسك وكوسوفو بل ومناطق سكن المسلمين أنفسهم داخل صربيا وكرواتيا وتدل إحصائيات الحكومة نفسها أن مناطق المسلمين أفقر المناطق في يوغسلافيا وأقلها دخلاً وأعلاها بطالة . في حين أن صربيا وكرواتيا لا تقل عن مستوى بعض الدول الأوروبية الغربية بينما نجد مناطق البوسنة وكوسوفو في مستوى بعض دول أفريقيا أو الولايات الهند .

الاعتراف بالبوسنة والهرسك

قاوم البوسنيون بطبيعة الحال هذه السياسة بتصميم على انتزاع حقوقهم ، من داخل المؤسسات اليوغسلافية وبطريقة إيجابية ، حتى باتت تهدد بانفجار الصيغة التي وضعها تباين للدولة ، فاضطر للاستجابة لحقوقهم ، ففي عام ١٩٦٨ م فرضت مطالبهم نفسها على المجتمع والدولة .

وفي يناير عام ١٩٧٤ م صدر دستور ينص على قيام جمهورية البوسنة والهرسك كجزء من دولة يوغسلافيا فانزاح بذلك هم كبير عن كثير من المسلمين ، وأظهر كثير من المستخفين إسلامهم ، وأدى ذلك شيء على ذلك أن نسبة المسلمين في البوسنة كانت ٢٥٪ عام ١٩٦١ م وبعد أن خفت اضطهادهم عام ١٩٧١ م أصبح ٣٩٪ ثم في عام ١٩٨٨ م أصبحت ٥٦٪ ، وما زال كثير منهم يتخفى بدينه خوفاً على وظيفته أو طمعاً في منصب يطمح إليه . غير أن الصرب والكرواتيين لم يكونوا مسلمين ولا راضين بهذا التطور وكانوا يتربصون للاستيلاء عليها وتقسيمها من جديد .

حرب أهلية جديدة

في صيف العام الماضي ١٩٩١ م أعلن الكرواتيون الانفصال عن الحكومة الفدرالية التي كان يسيطر عليها الصرب فعلياً ، فثارت الأقلية الصربية داخل كرواتيا والتي يبلغ عددها ٦٠٠ ألف نسمة وطلبت تدخل الجيش الاتحادي ، فكانت بداية لحرب أهلية جديدة ، ثم تبعتها جمهوريات أخرى فسحب الجيش الاتحادي قواته منها إلى سراييفو ، وفي نهاية شهر ديسمبر من العام الماضي أعلنت البوسنة والهرسك الاستقلال ، وكما هو متوقع ثارت الأقلية الصربية والتي يبلغ عددها حوالي مليون شخص وطالبت في شهر يناير من هذا العام بالبقاء ضمن الاتحاد الذي لم يعد يضم إلا صربيا والجبل الأسود وبعض الأقاليم مثل أقليم كوسوفو وغيره ، ثم في خطوة جريئة طالب المسلمون في كوسوفو وهم الأكثريّة ويعظمها الصرب والمسلمون في الجبل الأسود وفي مقدونيا طالبوا جميعاً بالاستقلال لتشكيل حكومة جديدة مستقلة والملفت أنهم لم يطلبوا الانضمام إلى المسلمين في البوسنة والهرسك وهذا من أهم تأثيرات اعتبار الإسلام قومية محلية عند هؤلاء المسلمين ، وستحظى هذه الخطوة برد فعل قاسيّة من بعض دول المنطقة فهم بالتعاون مع ألبانيا سيكون لهم وجود قوي في المنطقة ، وكذلك ستظهر إلى السطح مشاكل حدودية قديمة ، وقد حظيت كرواتيا وسلوفينيا بترحيب واعتراف من أوروبا والفاتيكان ، أما المسلمين فمن المتوقع أن يواجهوا صعوبات أكثر مما واجهها الكروات بحكم تمركز الجيش الاتحادي على أراضيها ، ووجود جالية صربية كبيرة ممتزجة مع السكان ، ووقوعها في البلقان وهو مركز مهم للتعصب الكنسي منذ القدم .

واجباتنا تجاه إخواننا هناك

إن مشكلة بهذا الحجم والتعقيد ، وفي مواجهة خصم بمثل هذه القسوة والهمجية تتحتم وجود حل قوي تتبناه الدول الإسلامية الغيورة على أحوال المسلمين ، وذلك لتأمين وضع يحفظ للمسلمين حقوقهم ويحافظ على بقائهم في تلك المنطقة الملتهبة من البلقان ، ول يكن في تخاذل تركيا العلمانية درس لنا اليوم فلا يتركوا كما تركوا بالأمس ، وهذه الأمانة تحتاج إلى رجال إن كان في القوم رجال

على أن هذا لا يعفي المؤسسات الإسلامية مثل الجامعات والمراکز الإسلامية ، وغيرها من مسؤولياتها تجاههم ، فيجب أن يتولوا القضية الإسلامية في يوغسلافيا بقوة ، وأفضل ما يقدمونه لهم هو بث الوعي الإسلامي بينهم ، وتعزيز الشعور بالوحدة الإسلامية مهما كانت الأصول ، فهو أكثر ما يحتاجونه اليوم ، وتخصص لهم منح في الجامعات في العالم الإسلامي ، وتعقد عندهم الندوات العلمية ، ويساعد على نشر الكتاب الإسلامي بينهم بلغتهم ويسهل لهم بعثات للحج والعمرة ويعطون أولوية في الدورات العلمية المتنقلة .

وللأفراد المسلمين دور يقومون به نابع من الاهتمام بأمور المسلمين . ذكر منه : متابعة أحوالهم وتطور قضيتهم خاصة هذه الأيام ، والسؤال عنهم ومعرفة حاجاتهم ، وبث الوعي الإسلامي بينهم وتبني قضيتهم في كل صعيد والدفاع عنها والدعاء لهم .

إن تكافف جهود المسلمين لحل مشاكلهم هو النموذج الأمثل لإعادة مجدهم ورفع الظلم عن المسلمين في باقي الأماكن ، وخطوة مهمة في الطريق الصحيح الذي بدت معالمه تلوح في كل مكان .

يرويها شاهد عيان

مندوب المجلة إلى بنجلادش

أراكان ...!

أراكان... ليست اسمًا لشركة من شركات العطور الفرنسية !

أراكان... ليست اسمًا لمجلة من مجلات الأزياء الإيطالية !

أراكان... ليست اسمًا لشركة من شركات التصدير الأمريكية !

أراكان... أرض من أراضي المسلمين التي انتزعت منهم وأصبحت نسيًا منسياً.. هل سمعتم بها ؟!

تقع أراكان جنوب غربي بورما ويفصلها من الشمال بورما والهند ، ومن الغرب بنجلادش ، ومن الشرق بورما . دخلها الإسلام في العصر العباسي الأول . وقد كانت أراكان خاضعة تحت الاحتلال البريطاني مع مجموعة الدول المجاورة لها . ولما حصلت بورما على الاستقلال في عام ١٩٤٨ م ضمت بريطانيا أراكان إلى بورما ، ومنذ ذلك اليوم وأراكان تقع تحت سيطرة بورما الاشتراكية . يبلغ عدد سكان أراكان ٤ ملايين نسمة تصل نسبة المسلمين إلى ٧٥ % .

وبورما دولة بوذية متعصبة جردت مسلمي أراكان من جميع حقوقهم المدنية ومنعهم من ممارسة شعائرهم الإسلامية . وفي عام ١٩٦٢ م قام بعض العسكريين الاشتراكيين بانقلاب عسكري وتولوا السلطة بقيادة الجنرال نيوين ، وحكموا بالحكم الاشتراكي فازداد الاضطهاد والضغط على المسلمين ، فهدمت مساجدهم ومدارسهم الدينية ، ومنعوا من الحج من عام ١٩٦٨ م حتى عام ١٩٨٢ م بل منعوا من التنقل داخل البلاد ، و تعرضوا لحملات إبادة واسعة النطاق ، وصودرت أموالهم وأراضيهم ومزارعهم ، فاضطرر قسم كثير منهم إلى الهجرة إلى الدول المجاورة .

وفي الأيام الأخيرة ازداد القمع والإرهاب ، وارتکب البوذيين جرائم وحشية بشعة ، حيث قتل الرجال واعتدى على النساء ، وشرد العزل عن ديارهم مهاجرين إلى بنجلادش أكثر الدول فقراً في العالم . ولا توجد إحصاءات دقيقة لعدد المهاجرين في الأشهر الأخيرة ، لكن يقدر عددهم بحوالي ٧٥ ألف مسلم وهم بازدياد مستمر .

وقد زرت مدينة كوكس بازار في بنجلادش على الحدود البورمية ، حيث توجد نسبة كبيرة من المهاجرين ، فوجدت المأساة تطل من وجوه الناس بصورة يهتز لها القلب وتتفطر منها النفس ، فكل واحد من مسلمي أراكان يحمل على عاتقه جراحات وألام تنهى لها الجبال ، إذ أنهم يعيشون بصورة محزنة جداً ، فقد فروا بأنفسهم وهو لا يملكون شيئاً من حطام الدنيا.. فصنعوا لأنفسهم بيوتاً من أغصان الأشجار لا تسلم من الأمطار أو الرياح ، ولا تحميهم من البرد والأعاصير ، ومعظم عشיהם التي يسكنون فيها لا يزيد ارتفاعها عن الأرض مقدار متر واحد فقط ، يجتمع فيها جميع أفراد الأسرة بلا غذاء أو دواء ، وهم شبه عراة لأنهم لا يجدون لباساً ، وخاصة أطفالهم الذين ألقوا العري !

ومن المأساة المحزنة التي رأيتها أثناء تجولي في مخيماتهم : فتاة شابة ومعها طفل صغير يعاني من المرض ، أسر والدها وقتلت أمها ، واعتدى الجنود البوذيون على الفتاة ، وألقيت محطمة ، ففرت مع الفارين بهذا الطفل الصغير الذي ينتظر الموت على يديها .

وامرأة أخرى أنهكتها الجوع ، فلما وضعنا بين يديها كيساً صغيراً من الأرز ضمته إلى صدرها بشدة كما تضم الأم ولدها المفقود .

ولما قام بعض المحسنين بتوزيع بعض المواد الغذائية على الناس ، أتى إلى رجل كبير في السن من المهاجرين ، وتكلم معه بكلام لم أفهمه ، فقال له : أشهد أن لا إله إلا الله... قال لي وقد أشرق وجهه بالفرح : مسلم ! فقلت له : مسلم . فسلم علي بحرارة ووضع يدي على صدره وضمها بشدة

هدية لمكتبة شبكة مشكاة الإسلامية

وبكى وهو يقول : مسلم ! ثم أخبرني المترجم أنه كان يقول : لقد مات هذا الصباح أربعة أطفال صغار من شدة الجوع والبرد .. وهكذا في كل يوم .

وفي إحدى العشرين فوجئت بثلاثة من الأمريكان ، قيل لي : إنهم صحفيون من مجلة النيويورك تايمز والواشنطن بوست ، ومعهم مترجم من مجلة بنجلادش غارديان . ولما ذهبنا إليهم وجدنا امرأة ملقة على الأرض مع ولدها المصابة بنزلة حمى شديدة ، وبجوارها شيخ هرم تجاوز الستين عاماً يرتجف من البرد ، ومعهم طفلان صغاران ليس عليهما لباس ينظران إليهم بصورة محزنة ، وينذر ذلك الشيخ أنه لم يذق الطعام منذ سبع ليال .

والعجب أن النصارى أحسوا بهذه المشكلة ، وأرادوا استغلال هذه المحنـة لممارسة أعمالهم التنصيرية ، إذ أني رأيت عند حاكم المقاطعة طبيتين فرنسيتين . جاءتا إلى الحاكم لكي يسمح لهم بافتتاح عيادة طبية بين مخيمات اللاجئين المسلمين!!!

هؤلاء هم مسلمو أراكان.. مشردين ، جياعاً ، عراة ، انتشرت بينهم الأمراض ، يصارعون البقاء ، أذلهم أداء الإسلام ، وساموهم سوء العذاب .. ومع ذلك فلا يعرف بحالهم كثير من المسلمين...!! وتساءل أحد الإخوة قائلاً : أين مواثيق هيئة الأمم المتحدة .. وأين دعوة السلام والديمقراطية .. وأين منظمات حقوق الإنسان التي يتصدق بها الغرب .. وأين ... وأين !!!

فقلت له : لا تتوقع يا أخي شيئاً من هذه الشعارات التي يتلبس بها الكفرة .. ولكن قل لي أين المسلمون ، وإلى متى هذه الغفلة ؟! ثم أين الصحفيون العرب عن مأسى إخوانهم ؟! أو أنهم مشغولون بالتزمير والتطبيل .. والهجوم على الحركات الأصولية التي أصبحت مادة يتسلق عليها أصحاب الأهواء للوصول إلى المال والشهرة !!

الجزائر

هل استقر الأمر للعسكر في : الجزائر

علقت صحيفة The SundayTimes الصادرة بتاريخ ١٩٩٢/٦/٢ على الوضع في الجزائر بقولها : "مادام الجيش في الشوارع والحالة غير مستقرة فالغرب لن يقدم الدعم المالي للمغامرة في الاستثمار ، وإذا انسحب الجيش فلن تستطيع الحكومة الاستمرار" وهذا الرأي تؤيده صحف غربية أخرى وبعض الصحف العربية ، فهي معادلة صعبة بالنسبة للحكم في الجزائر ، والحل العسكري لن يأتي بالطمأنينة والاستقرار ، فالقضية ليست قضية (جبهة الإنقاذ) وإنما هي شعب يريد غالبيته الإسلام ، فهي حالة مستعصية على العسكر ، فالدين متجرد في قلوب الناس وهم يحاولون سلخ حياة الناس عن هذا الدين ، ويخدعون أنفسهم بقولهم : إن المشكلة هي مشكلة اقتصادية ، والناس أرادوا الإسلام بسبب الفقر والبطالة ، وهذا ما تروجه الأحزاب العلمانية والعسكر الذين لا يفقهون طبائع الشعوب ولا التحولات التي جرت في السنوات الأخيرة .

نعم هناك مشكلة اقتصادية في الجزائر وفي أكثر بلدان ما يسمونه (العالم الثالث) ولكن لو أن الشعوب تريد حل مشكلاتها الاقتصادية بأي ثمن وبسرعة لاختارت الانحياز للغرب أو الدول الغربية والعيش على القروض والإعانات . ولكن شعوباً مثل شعب الجزائر عنده الاستعداد لأن يهلك جوعاً ولا يذل نفسه لأجنبي . ومن ناحية أخرى هل تستطيع حكومة (غزالى) أن تحل هذه المشكلة ، والغرب لا يثق بهذا الوضع المضطرب وهل يحل الاستجاء مشاكل الشعوب ؟ وهل كتب على الجيوش العربية أن تكون أداة قهر وسلط على الشعوب المسلمة التي دفعت من جيبها ومن تعبيها

لبناء هذه الجيوش ، هل كتب عليها أن تكون أداة رخيصة بيد أعداء الإسلام؟ أليس فيهم رجل رشيد يرفض هذه المهامات القذرة مهمة إذلال الأمة وضرب خيرة شبابها وصفوة علمائها حتى تعيش منهكة محطمة .

إن ما قام به الجيش هناك جعل بعض الفرنسيين الذين كانوا يخجلون من أعمالهم الوحشية ضد الشعب الجزائري ، يتراجعون الآن عن أقوالهم ويقولون : هاهم يضرب بعضهم بعضاً بوحشية لا تقل عما فعلناه فليهنا العسكرية هذه الشماتة ، وهذا الانتصار على شعب أعزل ، وهذا الانتصار على الشيوخ والأطفال والنساء وعلى أهله وأقربائه ، وإذا كان قد انتصر بزعمه - فنحن نعتقد أنه انتصار مؤقت ، وهو عملية عرقلة وتأخير فقط لقدوم الإسلام وتعبير الأمة بما تريده وتكتنفه من حب لهذا الدين ، وما تكتنفه من كره عميق لهؤلاء المسخررين لخدمة فرنسا وغير فرنسا . وإذا كانت جبهة التحرير بتنظيمها السياسي ومن ورائها الجيش لم تستطع حل مشكلة الجزائر وانفرط عقدها لأنها قامت على مذهبية مغایرة لعقيدة الأمة ، قامت على السلب والنهب لخيراتالجزائر ؛ فهل يستطيع أفراد قليلون من الجيش وغيره أن يستمرموا في حكم الجزائر ؟ لا أعتقد ذلك ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون .

شتاء باب الواد !

د. عبد الله عمر سلطان

حينما اندلعت أحداث براغ، ثورة شعبية في وجه المتسلطين من رفاق الحزب الشيوعي ؛ خلد دعاء الديمقراطية الغربية أحداث تلك الانتفاضة الجماهيرية الخاطفة من خلال القصيدة والمقال والشريط السينمائي.. ووصلنا نحن العرب المسلمين ترجمة بعض تلك الآثار مثل "ربيع براغ" أو احتفالات طابور العمالة الباهء بالذكرى السنوية لما أسموه بمذبحة الحرية والكرامة والإنسانية!.. حتى ثورة الخميني الرافضية شهدت تعاطفاً غربياً وزخماً إعلامياً هائلاً رافق تحركات صاحب "الولاية العظمى" من النجف إلى القرى الفرنسية النائية ومن ثم إلى شوارع طهران عبر مقد الطائرة الفرنسية... وكأنه شريط سينمائي أخرج ببراعة..

أما صيف بكين ومجزرة الديمقراطية فيها فقد ولدت في عصر القرية الكونية وبث محطة CNN "سي إن إن" ... فنقلت وكالات الأنباء والإذاعات ومحطات التلفاز ذلك الحديث لحظة بلحظة.. ودقيقة بدقة.. وأخرج الإعلام الأمريكي لنا "ثوار حرية" لم يتجاوزوا السابعة عشرة... وفجأة.. طار (دان راذر) المذيع الأمريكي الشهير إلى بكين وأشهد العالم "أعظم ثورة معاصرة" بل إن إقامته وهياته بالديمقراطية دفعاه إلى التصدي للسلطات الصينية التي حاولت منعه من نقل المشاعر المتفجرة والثورة العارمة ضد التسلط والظلم والقهر.. لقد برر الإعلام الأمريكي موقفه بالقول : إن من حق الإعلام أن يعلم تفاصيل المذبحة الجماعية التي تسحق فيها المجنزة أجساد الأحرار الذين يدافعون عن خيارهم الحر الأوحد!

هذا الخيار الحر الأوحد تكرر مرات أخرى في باب الواد بدلاً من ساحة "تيانماني" في بكين.. وفي عصر القرى الكونية وثورة الاتصالات الهائلة مُنِي الإعلام العالمي (والعربي بالضرورة) بشلل كامل وجلاطة دماغية قاتلة جعلته ينقل للمشاهد بيانات العسكرية الركيكة ويكتفي بنقل وجهة نظر الجزارين العصريين المتذمرين ب زيارات عسكرية قائمة وعقول لا تقل غلظة عن أحذيتهم الباطشة لكل فكر طليق !!

هدية لمكتبة شبكة مشكاة الإسلامية

شتاء باب الواد مرّ بعد أن فضحت صناديق الاقتراع كل المهرجين من الساسة والمتربصين من الثوار.. ودول الإعلام الغربي التي تشهر الديموقراطية متى شاءت ، وتتباهي على حقوق الإنسان لتدخل هنا وهناك تزرع الدمار وتستتب العملاء والمشبوهين الذين أتقنوا دور الدمية المتحركة في الإطار المرسوم..

.. شتاء باب الواد.. كان حدثاً يحمل كل عناصر السبق الإعلامي وإثارة التداعيات السياسية وتستمر المشاهد المتلهف للخبر الذي ينصف الخلية الأدمية في وجه طلقات الرصاص وزخات المدافع الرابضة في الأزقة الضيقة بدلاً من ساحات الوعي المفتوحة.. لكن الجزائر ثورتها لا تحمل (دان راذر) على المتابعة.. ولا (تيديكل) على الملاحقة الإعلامية.. فهو لاء.. يتحركون بزاوية معينة وخطوات محسوبة.. وإن لم يتحرك الأسنان.. فتلamientoهم من العرب سيقفنون في الركض من خلفهم وهم يزرعون الشائعات ، ينترون الكذب ويدافعون عن القهر والتسلط.. ويلمعون طغمة المرتدين والمترنسين والخارجين من توابيت الموت النضالي جتناً لا تحمل من الحياة قطرة ولا من المؤهلات سوى صناعة الطوب الرديء !!

ولأن الحقائق الكاملة مجھولة ، فإن نصف الحقيقة ، وإن جاءت متأخرة تستحق الذكر في عصر الكذب والنفاق.. نصف الحقيقة التي نشرتها اللوس انجلوس تايمز بقلم روبين رايت نقلها لكم هنا ، بعد أن صمت إعلامنا عن الحديث إلا بالزور.. والاستشهاد إلا بأقوال الجناء.. والنقل إلا تدليساً.. يقول المقال : "كانوا يشقون طريقهم عبر الطرق المتعرجة الموصولة إلى حي القصبة بهدوء ، وصلوا مترجلين إلى مبني المسجد الذي لم يكتمل بناؤه بعد ، في مجموعات من اثنين اثنين ، وثلاثة ثلاثة ، والنساء محجبات ، جاءوا مشاة لأن جميع الطرق مسدودة ، يواجهون رجال الشرطة المدججين بالسلاح ، لقد أصبحت صلاة الجمعة حدثاً هاماً في الحياة الجزائرية لأن الأصوليين يستثمرونها لإبراز قوتهم ، وأصبح المسجد بصلاة الجمعة رمز النضال في وجه بطش العسكر والاختلاف معهم حول المستقبل الحر لهذا البلد المنكوب . لقد شهدت صلاة الجمعة الفائنة والتي قدمت دليلاً على حجم التأييد لهذه الجبهة حين تدفقت الجموع الهائلة والهادئة في نفس الوقت حيث حرصن أنصار الجبهة

على الهدوء وعدم استفزاز العسكر.. لقد امتلاً المسجد مبكراً وبداً أن ضباط ارتباط الجبهة قد انتشروا حول المسجد يوجهون المصلين مطالبين بالسکينة التي عممت حي باب الواد.. لقد كانوا غاية في الانضباط وقمة في التنظيم.. وحينما اقتربت الساعة من الواحدة والنصف منع البوليس الصحفيين من الدخول إلى المنطقة وقال المسؤول بنزق : إن الصحفيين ممنوعون من الدخول إلى الحي حتى أولئك الحاصلين على تصاريح من قبل حكومته !! لكن بعض الصحفيين استطاعوا التسلل لمراقبة الأحداث عن قرب.. وكانت أحدهم حيث استضافته أسرة في عمارة من ثمانية طوابق.. لقد كان المشهد باهراً.. حيث الناس من القصبة حتى البحر الأبيض يتبعون المنظر من سقوف منازلهم وشرفات بيوتهم وهم يقدمون الدليل على تعاطفهم مع جبهة الإنقاذ في تجمعها هذا اليوم.. وحينما بدأت الصلاة كان الرجال يركعون في الشوارع فيما الأمهات يحملن أطفالهن لرؤية هذا المشهد الأخاذ لهذه الجموع الهائلة.. ولم تتردد العائلات في إزالة أقفاص الحمام لتمكن الصحفيين من متابعة الأحداث حيث كان البعض يصور المنظر وهو مختلف تحت بطانية عتيقة ، وكان الشعب الجزائري يريده أن يؤكّد بهذه الأعمال تضامنه العميق مع الجبهة ، وب مجرد أن أذن المؤذن تحول المشهد إلى ما يشبه الاحتفال.. وصرخت امرأة في منتصف العمر "F.I.S" الحروف الأولى الدالة بالفرنسية على جبهة الإنقاذ وأشارت إلى قائلة : "انظري إلى شعارات الجبهة ومؤيديها .. إن الحال في كل أصقاع القطر هكذا.." وبالطبع فإن باب الواد الحي المكتظ والممتلىء بالعاطلين عن العمل والأسر المحشورة لا يمثل استثناء.. ذلك أن التعاطف مع الجبهة يمتد إلى قطاع واسع من المجتمع

هدية لمكتبة شبكة مشكاة الإسلامية

الجزائري.. لا سيما المساجد لا التي يتجاوز عددها تسعه آلاف مسجد.. وهكذا ومع شعائر الصلاة كان تعاطف الناس ومشاعرهم يتضاد وهم يعرضون مساعدتهم للصحفيين المتابعين.. كما فعلت فتاة في سن المراهقة حينما دافعت عن أمام حاجز بوليس قائلة : "إنهم جاءوا لزيارتني" .
لقد شعرنا خلال تجوالنا من بيت لبيت وسقف لسقف بشعور عميق من التضامن.. عميق جداً بين أفراد هذا المجتمع.. كما كان شعور المسؤولية والانضباط واضحاً على كافة المستويات من القاعدة حتى القيادة حيث كان عبد القادر حشاني يخاطب المجتمعين قائلاً : "إنني أطلب منكم الهدوء وعدم مقابلة الاستفزاز بالعنف" .. وهكذا مرت شعائر الصلاة دون عنف بل على العكس لقد طلب الإمام من الشرطة الانضمام لأداء شعائر الصلاة طارحاً إشكالية مدى انقسام الجيش الجزائري وإمكانية رفضه لمهاجمة أبناء شعبه !! لقد أقدم المجلس الخماسي بعيد الصلاة على اعتقال حشاني ومنع جميع مظاهر التعبير السلمي مهما كان السبب أو الوقت.. لكن يبدو أن النظام الحاكم قد غفل عن حقيقة الضجر والتملل التي بدت واضحة فوق أسطح المنازل !! .

الركن الإعلامي أخبار قصيرة

- قمة الفرنكوفونية

استضافت باريس القمة الرابعة للدول الناطقة كلهاً وجزئياً باللغة الفرنسية والمعروفة بالدول الفرنكوفونية لمدة ثلاثة أيام لدراسة سبل تعزيز التعاون والتضامن فيما بينها ، وقد اشترك في القمة أكثر من ٤٥ دولة ضمنها لبنان وتونس والجزائر وموريتانيا وغيرها من الدول .

٧٨ - الدولية ٢٥ نوفمبر عدد

- بريطانيا ترفض ترشيح سفير سوداني (أصولي)

ذكرت مصادر سودانية أن بريطانيا أبلغت الخرطوم رفضها قبول ترشيح أحمد سليمان سفيرًا للسودان في لندن وأوضحت المصادر أن هذا المرشح يعتبر أحد الوجوه البارزة في الجبهة الإسلامية القومية التي تساند النظام العسكري الحاكم في الخرطوم .

٤٢٢٠ - البيان الإماراتية ٣ رجب عدد

- حاخام إسرائيلي يجيز إجراء التجارب الطبية على الفلسطينيين

جاء ذلك في رسالة بعث بها الحاخام دون نيسور إلى طبيب إسرائيلي خدم في الجيش ومما جاء فيها إذا كانت لدينا الفرصة في أن يجري التجارب على معتقلين مخربين لا يرجى منهم خيراً فإن الواجب يدعونا إلى ذلك لأن هؤلاء حكمهم في دولة يسودها القانون هو الموت .

الحياة ٨ جمادى الآخرة ١٤ ديسمبر

- تهاني

سيد طنطاوي يبارك اختيار بطرس غالى أميناً عاماً للأمم المتحدة ويصفه بالكفاءة والعقل الراجح ويصف اختياره بحسن الاختيار وإنه صادق وقال إنني كواحد من رجال الدين الإسلامي في مصر أؤكد على أن الدكتور بطرس غالى كفاعة تنتسب إلى مصر... أرجو تهنئتي وتحياتي إلى بطرس غالى متمنياً له التوفيق والسداد في مهمته السامية وفي منصبه الرفيع وأؤكد لأهل الشرق ولأهل الغرب أن مصر ووحدتها الوطنية بإذن الله ستسير في طريق الأمان .

كتب - وثائق - مذكرات - إصدارات

- فلسطين بالإنكليزية

(إلقاء اللوم على الصحايا) عنوان كتاب جديد صدر عن لندن ونيويورك ، أصدره إدوارد سعيد وكريستوفر هيتشين، وقد ترجمه د. مدوح البلتاجي، وفكرة الكتاب تقوم على دور إسرائيل في إقناع الرأي الغربي بأن المشاكل التي تقع بين العرب وإسرائيل لا تتحملها إسرائيل بل يتحمله العرب فقط وهم صحايا إسرائيل .

- مدير عام اليونسكو ينتقد هيمنة الإعلام الأمريكي بعنوان (نظرة في مستقبل البشرية) أصدر فيديريكو مارسوارجوتا مدير عام اليونسكو كتابه الجديد وينطلق في هذا الكتاب إلى طرح تنظير العالم الجديد ينحو فيه إلى الابتعاد عن الأفكار الجامدة والمصالح الإنسانية ، وقد انتقد فيه بشدة الهيمنة الإعلامية الغربية وخصوصاً الأمريكية على العالم .

الناشر: الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العامة

ترجمة محمود علي مكي

الحياة ٢٤ محرم - ٤ أغسطس

- أكثر من ٧٥ ألف وثيقة للحزب الشيوعي على أبواب الظهور

رغم أن قادة الانقلاب وقادة الحزب أحرقوا كثيراً من الوثائق ونقلوا كثيرةً منها ومع ذلك فقد بقيت هذه النسبة الضخمة التي يعاد ترتيبها بالتعاون مع مكتبة الكونгрس الأمريكي لإخراج ما يمكن نشره من أسرار الحزب الشيوعي .

المجلة عدد ٦١٥ ٩١/٢٢/٢٠

- هكذا رغوها.. وهكذا فكوها

أصدر واصف عبوشي كتاباً بعنوان تفكيك فلسطين انتقد فيه مواقف الدول الكبرى بمنتهى لاذع مع ربط تاريخي بين الماضي والحاضر مدعماً بالوثائق ، وواصف عبوشي أستاذ للعلوم السياسية في جامعة سانتامي أوهابيو وهو فلسطيني الجنسية وكان والده أحد مؤسسي حزب الاستقلال وأحد رؤساء البلديات الأوائل الذين طردتهم البريطانيون ، يقول المؤرخ مونتي بالمر (من جامعة ولاية فلوريدا) إنه أفضل كتاب صدر حتى اليوم عن دور بريطانيا في فلسطين بالاستناد إلى وثائق بريطانية... والكتاب إلى الآن باللغة الإنكليزية .

الحياة ٢٣ محرم - ١٣ أغسطس

- خيبة أمل

رسالة إلى الغرب ، كتاب جديد للدكتورة رانية قباني وترجمه إلى الإنكليزية والدها د. صباح قباني وجهت فيه رسالة إلى العرب تحذرهم من الانسلاخ من الجذور من منطلق تراثي عربي ، ورسالة إلى الغرب تصحح لهم مفاهيم مغلوطة عن العرب وتحاول تقرير وجهات النظر ، والكاتبة تعبر عن خيبة أمل التيار التحديدي وتقر بفشل إسقاط هذا المشروع على الواقع المعاصر .

الحياة ٢١ جمادى الآخرة - ٢٦ نوفمبر

- وثائق من محاكم التفتيش

أوضحت دراسة بعنوان وثائق من محاكم التفتيش تظهر تمسك الموريسكيين بمعتقداتهم الدينية على رغم عمليات القمع وكلمة موريسي تعني (مسلمي الأندلس) والدراسة تحاول فتح الصفحات المنسية في هذه الحقبة الزمنية من التاريخ ، ذكرت فيه مقططفات من كتاب (حياة الموريسكيين الدينية) والذي يعد أهم كتاب صدر في الموضوع .

الحياة ٢٧ محرم - ٧ أغسطس

- ألف مجاهد الجندي كتابه عن تاريخ الجامع الأحمدي في طنطا والذي يحيى قبر (أحمد البدوي) والذي أصبح بؤرة للشرك والطواوف حوله ، وقد دافع المؤلف بحماس عن البدوي وأشارت صحيفة (اللواء الإسلامي) بالكاتب والكتاب وقدمت عرضاً له ولقاءً مع مؤلفه في العدد (٥٢٠) ونحن نتعجب من صحيفة إسلامية تطلب لمثل ذلك الموضوع ، وكيف لا يعلم المحرر ما في جامع الأحمدي من الخرافات والبدع ، ولمن يريد معرفة حقيقة (البدوي) نحيله إلى كتاب (السيد البدوي بين الحقيقة والخرافة) د. أحمد صبحي منصور .

إحصاء

- ٢٠% من شباب إسرائيل يتعاطون المخدرات

ذكر راديو العدو الإسرائيلي أن ٢٠% من بين طلبة المدارس الثانوية في إسرائيل يتعاطون المخدرات بمختلف أنواعها، وأشار إن هذا يعني إن أكثر من عشرين ألف طالب ثانوي يتعاطون المخدرات في إسرائيل ، وأوضح التقرير الصادر عن مكافحة المخدرات الذي نقل عنه راديو العدو إن أكثر من ٢٠% من الشبيبة الإسرائيلية يتعاطون المخدرات من بينهم عشرة آلاف مدمn مخدرات وأكثر من أربعين ألف متعاط لـها .

البيان الإماراتية ٢٧ ديسمبر عدد ٤٢٠٩

- ٣٨ ألف عضو لجمعية (كيف تنتحر)

أسس ديريك همفري جمعية هيملوك (وتعني السم) عام ١٩٨٠ م التي تضم الآن ثمانية وثلاثين ألف عضو ، وتنادي إنه من حق المريض بدء مميت أن يصمم أفضل أسلوب للموت ويتعاون مع طبيب خاص لإجراء عملية الموت ، والجديد في الخبر هو الكتاب الذي نشره مؤسس الجمعية بعنوان (الحق في الموت) ويتضمن دليلاً تفصيلاً لطريقة الموت ، وقد نفذت العشرين ألف نسخة في الأيام الأولى كما نفذت ١٢١ ألف نسخة أخرى في أيام قليلة أيضاً.

الحياة ١٤ أغسطس

- تجارة

صحيفة البيان الإماراتية - في معرض حديثها عن دمج اقتصاديات المنطقة بالاقتصاد العالمي - ذكرت أن ٩٠% من تجارة العالم الإسلامي تتجه للدول الصناعية ، وإن هذا الرقم مرشح للزيادة في ظل ازدياد الاقتصاد المتعدد والجنسيات المختلفة .

البيان الإماراتية ٢٧ ديسمبر عدد ٤٢٠٩

التزييف : رؤية ونموذج

رؤيه :

ليس أضرّ على أمة من الأمم من أن تُبتلى بمن يزيف وعيها بحقيقة ألد أعدائها ؛ وأكثرهم مكرًا وكيداً ، خاصة حين يكون العداء له جذور في أعمق ثقافتها عندها وعند عدوها على السواء ؛ ضمن سياق طويل من معركة عقائدية عنيفة ، غائصة جذورها في أحقاب قرون طويلة مضت ، وممتدة أغصانها في اعتقاد الأمتين لتعطيل الأزمان المستقبلية القادمة . ثم كم هي الخيانة عظيمة حين تمارس فئة من الأمة التبشير بمشروع عدوها التقليدي، بوصفه حلاً واقعياً لا يمكن إيجاد بديل يفضله أو يوازيه ، مع أن أهون لوازمه لو كتب له النجاح - فرض إعادة تشكيل لجغرافية عقول الأمة عن طريق الحذف والاضافة من أجل بناء عقل (معتدل - واقعي...) يتقن ممارسة الاستسلام الذليل والتخلّي عن كل مقوماته الحضارية في مقابل توهّمه استعادة جزء من أرضه المغتصبة ، بينما هو يقدم أراضيه كلها بكل ما فيها ومن فيها - لتكون سوقاً كبيراً يستهلك منتجات العدو الفكرية والمادية ، ويتحقق له تنفيذ اختراق أكبر للبني الاجتماعي والسياسي لا يقارن بكل ما حدث في السابق .

هذه الصورة القبيحة من الزيف هي المحصلة الوحيدة التي يخرج بها من تابع ويتبع الإعلام العربي منذ بدأ الحديث بما يسمى بـ (مؤتمر السلام) ، بل كثر حديث الصحافة العربية عن مرحلة التفكير الواقعي المنتج الذي ارتقى إليها العقل السياسي العربي ، مع مهاجمة لا هدنة فيها لمن أسموه : المتاجرين بالشعارات... القاطنين في رومانسياتهم الحالمة ، في الوقت الذي تسود فيه الصفحات بالحديث عن الشرعية الدولية وما تعدد به من خير عميم على القضية الفلسطينية .
وسوف نعتني هنا بتسليط الضوء على بعد واحد من أبعاد الصورة المعتمة ، ليكون نموذجاً بسيطاً للتزييف الذي تمارسه أقلام كثيرة تطالعنا تحليلاتها وأراؤها التي ترسم بالسوداد بياضاً وتجعل من الليل المعتم فجرًا واعداً بجنة الحياة الدنيا ، بل والآخرة !

نموذج للتزييف

منذ بدأت مهزلة السلام غرفت الصحف العربية إلى أذنيها في الحديث عن تغير النظرة الأمريكية إلى الصراع العربي الإسرائيلي ، وعما سيقوم به الحكم الأمريكي (راعي المفاوضات) من كسر حاجز التعنت الإسرائيلي ، ولما ظهرت لاءات إسرائيل الأربع ، وبدأت المفاوضات ، وجاء الموقف الإسرائيلي متزماً بالرؤية التوراتية التلمودية طالعتنا الصحف العربية بتحليلاتها : ما بين مؤكد لحدوث تدخل قريب من الوفد الأمريكي للخروج من عنق الزجاجة ، ومقدم عرائض المطالبة بهذا التدخل ، ومستنكر لتأخره الطويل .

وعلى الرغم من قيام مئات الشواهد التاريخية والواقعية قديماً وحديثاً تؤكد وحدة المشروع الاستعماري الأمريكي والإسرائيلي ، والبقاء المبادئ والمصالح في مجرى واحد بحيث لا يمكن للحياد أن يجد ثغرة في درب متخم بالحواجز العقدية والمصلحية ، إلا أننا سنغفل كل ذلك وننطّق من داخل أروقة المؤتمر نفسه ونتساءل : هل يمكن للوفد الأمريكي موقف محайд في المفاوضات الجارية ؟ بل : هل تم تشكيل الوفد بصورة تتبئ عن الرؤية الأمريكية الجديدة التي توهمنا بها الصحف العربية ، والتي لا تتنمي إلى المشروع الإسرائيلي ولا تؤمن به ؟ أم إن رسمي القرار في الوفد الأمريكي مختارون بشكل يجعل منهم وفداً إسرائيلياً آخر في لباس أمريكي ؟
لقد نشرت الصحف العربية -على استحياء ! - مواصفات أعضاء الوفد ، فكانت كالتالي (١) :

هدية لمكتبة شبكة مشكاة الإسلامية

* دينيس روس رئيس الوفد هو رئيس مجموعة تخطيط السياسة في وزارة الخارجية الأمريكية ، وهو بذلك أعلى مستشاري السياسة الخارجية لبىكر ، أمضى عشر سنوات في التعامل مع القضايا المتعلقة بالشرق الأوسط وتحديد السياسات الأمريكية تجاهها ، وهو ربيب ريتشارد بيرل الصهيوني النشط داخل دوائر الحكومة الأمريكية وخارجها على مدى السنوات العشرين الماضية ، وسأله وفدا زاره في مكتبه عن الرسومات المختلفة لنجمة داود على طاولة المكتب فأجاب أنها من رسم ابنه.. وصفته جريدة واشنطن بوست (٩١/١٠/٢٨) بأن له "معتقدات قوية مؤيدة لإسرائيل" وأنه "كان لفترة طويلة من مؤيدي إسرائيل الراسخين".

* دانيال كورترس نائب مساعد وزير الخارجية الأمريكي لشؤون التخطيط السياسي وأحد مساعدي روس الكبار ، كان موضوع رسالته للدكتوراه عن "العنف" الفلسطيني والانتفاضة الإسرائيلية المعتادة ، وفيها يعارض استخدام القوة لأنها يعتقد أن هناك أساليب مضادة للانتفاضة الفلسطينية أنسج مما تقوم به إسرائيل لوقفها ، ويفضل الحوار مع المنظمة لأنها خطوة تسمح لليهوديين بإعادة تجميع صفوفهم والانطلاق بعد ذلك في استخدام الوسائل الأنزع ، وهو يهودي ملتزم بالتعاليم اليهودية كان أثناء خدمته في سفارتي الولايات المتحدة في كل من "تل أبيب" و "القاهرة" ينلقى الطعام اليهودي الحال "كوشير" من إسرائيل ، وهو يتحدث العبرية بطلاقة ، وله أقرباء في إسرائيل

* آرون ميلر مساعد آخر لروس ضمن مجموعة تخطيط السياسة في وزارة الخارجية ، وهو يحمل شهادة الدكتوراه في تاريخ الشرق الأوسط ، وله كتاباته عن الفلسطينيين ومنظمة التحرير ، ويركز في شكل خاص على الخلافات ضمن صنف الفلسطينيين ويؤكد أنها يمكن أن تقضي إلى تداعي التضامن الفلسطيني ، ويعرف عن أسرته في "أوهايو" أنها من أكبر دعاة التبرع للمنظمات الصهيونية ، وسبق أن عاش في إسرائيل وله فيها أقارب ويتقن العبرية .

* ريتشارد هاس ، ويشغل منصب مساعد خاص للرئيس الأمريكي لشؤون الأمن القومي ، وكبير مديري شؤون الشرق الأدنى وجنوب آسيا في مجلس الأمن القومي الأمريكي ، وغالباً ما يطلق عليه لقب "المحافظ الجديد" وهي كلمة مرمرة تشير إلى مؤيدي إسرائيل من الداخلين الجدد إلى المسرح المحافظ ، والذين بрезوا فجأة في عهد ريجان ، وقد درس وعاش في إسرائيل ، ويعتبر أن الشرق الأوسط غير ناضج بعد لحل الصراع فيه.

* ويليام بيرنر: هو العنصر الوحيد في فريق متابعة المفاوضات الأمريكية الذي ليس يهودياً، ويشغل منصب النائب الرئيسي لمدير مكتب تخطيط السياسة التابع لوزارة الخارجية الأمريكية . هذا هو بعض ما نشر من موصفات الوفد الأمريكي لمفاوضات السلام ، وهو محل محل بوش وبىكر في حال غيابهما ، ويرسم لهما سياستهما في حال حضورها . وسندع الإجابة عن تساؤلاتنا السابقة لأمين سر مجلس الوزراء الإسرائيلي روبنشتاين فهو يقول (٢) : "إن الفريق الأمريكي إلى مفاوضات سلام الشرق الأوسط المؤلف من خمسة أشخاص ، حيث يتلقى وفداً إسرائيلياً من خمسة أشخاص أيضاً ينقصهم "مينيمام" أي النصاب الكامل "عشرة أشخاص" لإقامة صلة يهودية ، فتسعة من المجتمعين العشرة يهود" .

ترى أين يعيش هؤلاء الذين يتحدثون عن رؤية أمريكية . جديدة ، وحل سلمي عادل ؟! أم أنهم قد ((جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَعْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرَرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا)).

الهوامش:

- ١- تحدثت عنهم الحياة في عددها (١٠٥١٢) في ١٧/١٠/١٩٩١ والأهرام في ٣/٩/١٩٩١ م
- ٢- الحياة العدد السابق ذكره

مصطلحات

العالم الثالث

كيف كان وماذا سيكون

سقوط الاستعمار القديم بعد الحرب العالمية الثانية وظهرت القوتان الكباريان : أمريكا والاتحاد السوفييتي بعد اجتماع (يالطا) عام ١٩٤٥ ، ومنذ ذلك الوقت نشأ بينهما ما سمي بالحرب الباردة ، وفي السبعينات من هذا القرن ظهرت المعارضة الفرنسية (الديغولية) لأن تكون أوروبا الغربية دائرة في فلك واشنطن ، وعلى الجانب الآخر ظهرت المعارضة الصينية للهيمنة السوفييتية . وفي غضون ذلك ظهر ما بين عامي ١٩٥٩ - ١٩٦٠ مصطلح (العالم الثالث) الذي يشمل دولاً مختلفة في آسيا وأفريقيا وأمريكا الجنوبية .

هذا العالم يرتبط بعده معايير متداخلة إلى حد ما وفيها :

١- المعيار التاريخي الذي يربط دول هذا العالم بالدول المستقلة حديثاً من الاستعمار الذي ساهم في تخلفها بشرياً واجتماعياً .

٢- معيار اقتصادي ترتبط به هذه الدول باسم التخلف الاقتصادي الذي انعكس بصورة رئيسية على مستوى التقدم السياسي وجعل غالبيها معرضةً للقلق السياسي واضطراب الأمن.

٣- معيار سياسي حاولت فيه هذه الدول أن تنشأ كتلة (عدم الانحياز) إلى أي من القطبين وإن كان هذا الشعار لم يكن دقيقاً لأن كثيراً من دوله كانت منحازة فعلاً .

هذه المعايير ليست بقدراتها ولا مع غيرها على تحديد حقيقة العالم الثالث لأن تمنع هذا العالم بالوجود السياسي في النسق الدولي الراهن مفيد في ممارسته بعالمية تواجد القطبين وسيظل العالم الثالث مسرحاً وهدفاً للقطبين الدوليين ما دام لم ينتج الأسلحة الاستراتيجية . فهذا التجمع القائم على فكرة توفيقية هو شريك في النسق الدولي لا أهمية له لأنه لم تتوفر له القوة المادية التي تمكنه من المشاركة ، زيادة على ما في هذا التجمع من التناقضات الكثيرة واختلاف المصالح وأنه فعلاً منحاز لأحد القطبين .

وبعد سقوط القطب السوفييتي وتشagrدم دوله ونشوء (دول الكومنولث المستقلة) انتهى النسق الدولي القديم ونشأ الواقع الحالي القائم على القطب الواحد تحت ما تروج له أمريكا (النظام العالمي الجديد) . ومع ذلك فقد ظهر عالم آخر تحاول أن تكون قطباً منافضاً لأمريكا كدول أوروبا الغربية، ودول الكومنولث المستقلة، واليابان وببلاد النمور السبعة ويبقى العالم الثالث في حالة لا يحسد عليها، وستطمع فيه تلك الدول وبواحد ذلك نلمسها في استغلال خيرات دول هذا العالم واستغلال الموضع الاستراتيجية بدعوى حمايتها من الإرهاب، وربما يتحول ذلك المصطلح (العالم الثالث) إلى مصطلح أكثر دقة كأن يكون (الصراع بين الشمال والجنوب) أو حتى (بين الصحاري والمدن) كما ألمح إلى ذلك الصحفي (محمد حسين هيكل) في مقاله الذي نشره في التايمز اللندنية بتاريخ ١٢/٩/٩٠ أبان حرب الخليج .

ولكن هل تتفطن دول هذا العالم (وأغلبها إسلامية) أن تعود لسر قوتها ونهضتها وهو الإسلام بعد أن فشلت كل الطروحات التي حكمت بها بعد الاستقلال؟ هل تتخلص من رموز الاستعمار الذين رباهم على عينيه يجعلهم يفضلون التعايش مع اليهود في سلمهم الجديد ويكرهون

التعايش مع الإسلام ولو حتى بالشكل الديمقراطي الذي طالما رددوه ودعوا إليه ، وما أصدق قول عمر - رضي الله عنه - :
"نحن أمة أعزنا الله بالإسلام وإن ابتعينا العزة في غيره أذلنا الله" .

منتدى القراء إلى من يهمه تبلیغ رسالتة الإسلام

سعود بن محمد آل عوشن

لا شك أن هناك تقصيرًا في تبلیغ الإسلام في هذا العصر الذي تيسرت فيه وسائل التبلیغ بما لم يتيسر في أي عصر مضى ، ومع هذا فإن هناك أممًا كثيرة محجوبة عن هذه الرسالة تماماً ، وكثير من أفرادها لا يعرف أن هناك دينًا اسمه الإسلام أو رسالة جاء بها محمد - صلی الله عليه وسلم - ، وطبعاً هذه مسؤولية أبناء الإسلام حسب قدراتهم ومسؤولياتهم .
ولو أننا بذلك على النواحي السياسية أو الرياضية أو التجارية لاستطعنا إبلاغ الإسلام لكل الأمم وبكل سهولة ويسر . لكننا أعرضنا عن ذلك وتركناه وكأننا غير مسؤولين عنه ، وعندما يكون هناك منهج رياضي أو سياسي أو أسلوب تجاري نترجمه إلى مئات اللغات ونببلغه لجميع الدول وبوسائل التبلیغ والإعلام المختلفة ، ولا يصعب علينا ذلك أو نتوانى دونه ، لكن أن نترجم معاني القرآن أو الأحاديث النبوية الشريفة أو كتب العقيدة أو الفقه أو ما يلزم للمسلم من عادات ضرورية ، أو إبلاغ غير المسلمين بالإسلام فهذا لم يكن ، وما كان في الساحة فجزء قليل مما يجب وهذا نقص كبير في الإبلاغ والتفهيم .

لا شك أن كثيراً من علمائنا ودعاتنا يجهلون هذه الحقيقة لعدم إحاطتهم بأوضاع العالم المعاصر ويكتفون بما يرد من أن الرسول - صلی الله عليه وسلم - بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة فأطاح أصحابه - رضي الله عنهم - وأراضهم بأكبر دول في الوجود آنذاك في الشرق والغرب ، ونشروا الإسلام في بقاع العالم ، لكن نحن المقصرون في أداء الأمانة وإبلاغ الرسالة من بعدهم ، حيث شاهد أممًا كثيرة لا تعرف عن الإسلام حتى اسمه ، ولم نفعل شيئاً يجدي في ذلك ، وكل جهودنا قليلة وفي حدود ضيقه ومجالات قصيرة لا يعلمها إلا القليل وبصورة مشوهة أو هزلية لا تعطي المعنى والمظهر الإسلامي الحسن والأداء الشرعي المطلوب ، إن المسؤولية في نظري تقع على كل فرد مهما يكن مستواه أو علمه أو قدرته ، بقدر ما منحه الله من قيم مادية أو معنوية علمية أو عملية ، فعليه أن يستغل ذلك في أداء هذا الواجب وغيره من الواجبات الأخرى فلو فعل ذلك كل فرد ما بقي في الأرض فرد إلا تبلغ الإسلام فهل شعرنا بذلك وأشعرنا إخواننا بمسؤولياتهم ، إن هذا من أهم الأمور التي يجب البدء بها للسير في الطريق المستقيم .

ومن الوسائل المهمة في تبلیغ الإسلام أن نستقدم عدداً كبيراً من الأبناء تلك المسلمين من تلك الدول وندرسهم لغة القرآن والعلوم الإسلامية ، ويعودون إلى بلادهم لينشروا الإسلام في أوطانهم ويبلغوه لبني قومهم وأن نبعث إليهم من المتشبعين بالعلوم الشرعية المحسنين بها من يدرس لغاتهم باتفاق ليتولى ترجمة معاني القرآن والعلوم الإسلامية إلى تلك اللغات ، ومن ثم يعمل على نشر هذه الترجمات في أوطانهم وبواسطة مؤسساتهم وبصورة أوسع وبصورة مستمرة ليحصل كل فرد

عليها ، هذا مع الاهتمام بالإسلام إعلامياً ونشره بكل الوسائل الممكنة الأخرى حتى نؤدي الأمانة ونبلغ الرسالة ونأمن المسؤولية في يوم الحساب الأكبر فهل نحن فاعلون ؟

مجرد تساؤلات

عثمان بن محمد الخنين

لماذا يصر بعض كبار الكتاب في كتاباته على نهج أسلوب غامض أو شبه غامض ذي التواهات.. مما يجعلفهم ما يكتبه صعب المNAL (فربما احتاج الأمر لأكثر من متخصص في العربية ليوضحا ما يقصد الكاتب) ، ألا يجر بمثل هذا الكاتب أن يسأل نفسه... نحن في أي عصر ؟ ! عصر كثرت فيه (الكتابات) وكثرت فيه الكتب والصحف...

وكلئير من القراء إذا قرأ في بداية موضوع ولم يفهم منه شيئاً تركه إلى غيره وهناك البديل أوضح وأيسر متناولاً؟ وباختصار نقول لمثل هذا الكاتب وامثاله (يسروا ولا تعسروا) . أحد الناس متخصص في أحد فروع العلوم الطبيعية ثم أدخل نفسه في الأدب والشعر فقبل منه ثم بدأ يدخل نفسه في العلوم الشرعية مع أنه لم يلم بالأحكام الشرعية وأصبح يرد على بعض الدعاة والفقهاء !!

نقول لهذا : لماذا تدخل نفسك في أمر لست متخصصاً فيه ولا تجيده وخاصة إذا كان هذا الأمر هو الشريعة وأحكامها والدعاة والفقهاء ؟ الا تخشى الله ؟! و (رحم الله امرءاً عرف قدر نفسه) .

في طريق محو الإسلام من القدس

في خطوة لا سابق لها ، أدانت المحكمة العليا في القدس مؤذن مسجد الشيخ جراح الواقع قرب فندق المستعمرة الأمريكية في القدس الشرقية بحكم فحواه أنه " يحدث ضجة غير معقولة" ويزعج السكان اليهود على بعد بضعة مئات من الأمتار في النصف الثاني من المدينة ، وغرمته ما يعادل (٥٥) جنيهاً ، و(٥٠٠) جنيهاً آخر إذا أعاد مثل هذه "الجريمة" خلال الثلاث سنوات القادمة .

وهذا الحكم جاء نتيجة لتحقيق قام به البوليس حول هذه التهمة . وهي أن إمام هذا المسجد الصغير ، الذي يلتتصق بمئذنته مكبر صوت ضخم ، يرفع صوت المكبر إلى أقصى درجة ويوجه باتجاه الأحياء اليهودية ، حتى في الليل وفي أيام السبت !

ويدعى متطرفون يهود أن قوة المكبر ازدادت بشكل ملحوظ منذ بدء الانتفاضة ، وقد تحقق ذلك الشرطة من ذلك بمقاييس صوت قاسية به نسبة الضجيج وادعت أن صوت المؤذن يتجاوز ما هو مسموح به . وقال أمير شيشن رئيس قسم القضايا العربية في بلدية القدس : "لقد تلقينا شكوى حول ضجيج المكبر والأذان بالإضافة إلى اليهود - من مسلمين ومسيحيين وهؤلاء يخافون من التصريح بأسمائهم" .

وقد عبر المسلمون غضبهم من قرار المحكمة ، ولم يقتنعوا من تعليق هذا المسؤول في المجلس البلدي ، خاصة وأن هذا الحكم صدر في الوقت الذي يجتمع فيه زعماء مسلمون من شتى أنحاء العالم في مراكش لمقابلة الملك الحسن لمناقشة الطرق التي يحافظ بها على "التراث لإسلامي" في القدس .

وقد أعلن محامي الدفاع أنه سوف يستأنف ضد هذا الحكم ، ويطلب التدخل من "هيئة الوقف الإسلامي". وقد قال موشي عميراف عضو المجلس البلدي : "المدينة حساسة جداً تجاه تناول المحكمة لقضية مثل هذه القضية ، لأن مثل هذه الخلافات يجب أن تحل بالوفاق ، وإلا فإن حلها بهذه الطريقة سوف يسوق المدينة إلى الانفجار .

جريدة التايمز : ١٩٩٢/٢/٢٤

المرأة المسلمة والدعوة إلى الله

خولة درويش

تحملت المرأة المسلمة أعباء هذه الدعوة منذ فجر الإسلام ، وضررت أروء الأمثلة في الصبر والتقانى والثبات ...

"إن أول قلب خلق بالإسلام وتلقى بنوره قلب امرأة وقد هيء لها من جلال الحكمة وبعد الرأي وزكاء الحسب ما عز على الأكثرين من الرجال .

لقد تأثرت أم المؤمنين خديجة بنت خويلد - رضي الله عنها - بهذا الدين تأثراً نفذ إلى قلبه - صلى الله عليه وسلم - ، فكان مبعث الغبطة والسكينة عند تدافع التوب واشتداد الخطوب" (١) . فقال - صلى الله عليه وسلم - مبيناً فضلها وسابقتها : "آمنت بي إذ كذبني الناس ، وأوتني إذ رفضني الناس ، ورزقت منها الولد ، وحرمتني العذاب في سبيل دينها ، متحدية سطوة قريش وجبروت طغيانها آنذاك .

كانت سمية بنت خبّاط أم عمار بن ياسر ، سابعة سبعة في الإسلام ، وكان بنو مخزوم اذا اشتدت الظهيرة خرجوا بها وبابنها وزوجها إلى الصحراء وأهالوا عليها الرمال المتقنة وأخذوا يرضخونهم بالحجارة ، وتوفيت سمية تحت التعذيب - رضي الله عنها - .

وعن مجاهد قال : أول شهيد في الإسلام سمية بنت خبّاط ، والدة عمار بن ياسر ، كانت عجوزاً كبيرة ضعيفة ، ولما قتل أبو جهل يوم بدر ، قال النبي - صلى الله عليه وسلم - لعمار "قتل الله قاتل أمك" (٣) .

لقد هانت النفس والمال والولد عند الرعيل الأول من الرجال والنساء في سبيل عقيدتهم ودينهم وحب الله ورسوله .

"عن ابن اسحق عن سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - قال : مر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بامرأة من بنى دينار وقت أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في أحد ، فلما نعوا لها قالت : ما فعل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ؟ قالوا : خيراً يا أم فلان ، هو بحمد الله كما تحبب . قالت : أرونيه حتى أنظر إليه . قال : فأشير لها حتى إذا رأته قالت : "كل مصيبة بعدك جل" (٤) .

وخلال الهجرة ساهمت المرأة في التخزيل عن رسول الله وصاحبه وتحملت الأرzae والمشاواق في سبيل دينها .

فكانت رقية بنت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، من أوائل من هاجر إلى الحبشة ، وكان معها جملة من نساء المؤمنين (٥) .

وكانت أم سلمة - رضي الله عنها - ، قد منعها قومها بنو المغيرة من الهجرة مع زوجها ، ثم جذبوا ابنها سلمة منها حتى خلعوا يده ، ففرقوا بينها وبين زوجها .

هدية لمكتبة شبكة مشكاة الإسلامية

تقول رضي الله عنها - : كنت أخرج كل غداة ، وأجلس بالأبطح ، فما أزال أبكي حتى أمسى سبعاً . حتى مر بها رجل من بنى عمها فرق لها . وقال لبني المغيرة : ألا تخرجون هذه المسكينة ؟ فرقت بينها وبين زوجها ، وبين ابنتها ، فقالوا : الحق بزوجك إن شئت ، وردوا عليهما ابنتها ثم لحقت بزوجها ، رضي الله عنهم(٦) .

ويستمر شأن الجاهلية هذه حتى أيامنا هذه ، فيشرد المؤمنون في أصقاع الأرض ، ويمنع ذووهم من النساء والأطفال من تأشيرات الخروج للحاق بهم ، وتبقى سلعة الله غالبة ، تستحق التضحيات الجسام .

وكانت أسماء بنت أبي بكر الصديق - رضي الله عنهم - ، ذات مواقف عظيمة خلال الهجرة ، تمثل لباقة الداعية وحصافتها وثباتها .

قال ابن اسحق: حدثت عن أسماء بنت أبي بكر أنها قالت : "لما خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وأبو بكر - رضي الله عنه، أتانا نفر من قريش فيهم أبو جهل ، فوقفوا على باب أبي بكر فخرجت إليهم فقالوا : أين أبوك يا بنت أبي بكر ؟ قلت : لا أدرى والله أين ؟ قالت : فرفع أبو جهل يده و كان فاحشاً خبيثاً - فلطم خدي لطمة طرح منها قرطي(٧) .

وعندما احتمل أبو بكر ماله كله ، خمسة آلاف أو ستة آلاف درهم خلال هجرته ، سُكنت أسماء جداها أبا قحافة بأن وضع حجارة في كوة البيت الذي كان يضع أبو بكر ماله فيها ، وغضتها بثوب ووضعها يد أبي حفافة على ما ظنه مالاً.. تقول : ولا والله ما ترك لنا شيئاً ، ولكنني أردت أن أسكن الشيخ بذلك ..(٨)

ولم تكتف المرأة المسلمة بذلك ، بل ساهمت في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على قدر طاقتها

"دخل قريب لأم المؤمنين ميمونة - رضي الله عنها - ، فوجدت من ريح شراب . فقالت : لئن لم تخرج إلى المسلمين فيجلدوك ؛ لا تدخل علي أبداً"(٩) .

وها هي أم سليم تدفع ولدها ليكون جندياً يخدم صاحب الدعوة . عن أنس قال : " جاءت بي أم سليم "والدته" إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقد أزررتني بنصف خمارها ، ورددتني ببعضه فقالت : يا رسول الله ! هذا أنيس ابني أتيك به يخدمك فادع الله له . فقال : " اللهم أكثر ماله وولده " فو الله إن مالي كثير ، وإن ولدي وولد ولدي يتعادون على نحو من مئة اليوم "(١٠) .

وعندما خطب أبو طلحة أم سليم (قبل أن يسلم) قالت : يا أبا طلحة ! ألسنت تعلم أن إلهك الذي تعبد نبت من الأرض قال : بلى . قلت : أفلأ تستحي ؟ تعبد شجرة ؟ إن أسلمت فإني لا أريد منك صداقاً غيره . قال : حتى أنظر في أمري . فذهب ثم جاء فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . فقالت : يا أنس زوج أبا طلحة . فزوجها فكان صداقها الإسلام"(١١) .

فأين من ذلك فتيات اليوم ؟ من يتغلى أهلهن بالمهور ، وقد يكون الخطاب ذا دين وخلق ، ولكن لا يستطيع دفع الأموال الطائلة ، وكذلك الفتيات يتباھين بكثرة ما يدفع إليهن من مهر وذهب ومجوهرات ، أو يبقين عوانس مدى حياتهن وما أكثر هذه الظاهرة في عصرنا الحاضر .

المصادر:

١- عودة الحجاب : محمد اسماعيل المقدم ٢٦٣/٢

٢- قال محقق سير أعلام النبلاء : اسناده حسن انظر السير ١١٢/٢

٣- الإصابة : ٣٢٧/٤

٤- البداية والنهاية : ٤٧/٤ ، وحياة الصحابة : ٢٣٣/٢

"وجلل : ترید صغیرة ، قال ابن هشام : الجل يكون من القليل والکثير"

هدية لمكتبة شبكة مشكاة الإسلامية

- ٥- الإصابة : ٢٩٧/٤ ، وسيرة ابن هشام : ٣٢٢/١
- ٦- الإصابة : ٤٣٩/٤
- ٧- السيرة النبوية لابن هشام : ٤٨٧/١
- ٨- انظر سيرة ابن هشام : ٤٨٨/١
- ٩- أخرجه بن سعد : ١٢٩/٨ ، وسنه حسن "أعلام النبلاء" ٢٤٤/٢
- ١٠- أخرجه مسلم في صحيحه في فضائل الصحابة : "انظر سير أعلام النبلاء للذهبي : ٣٩٨/٣"
- ١١- الإصابة لابن حجر : ٤٤٢/٢

الصفحة الأخيرة

دعوة مؤسسات لا دعوة أفراد

د. مالك إبراهيم الأحمد

ما زال الكثير من التجمعات الإسلامية يعيش عقلية سنوات خلت ، حيث كانت الصحوة الإسلامية في مراحل نمرها الأولى تمثلي متعرّة وتحاول النهوض بعد كل كبوة . أما الآن ، وقد أصبحت ملء العالم وأصبحت الخطر الأوحد أمام الأنظمة الغربية بعد سقوط الشيوعية في المعسكر الشرقي فإنه لا بد من مواجهة أساليب العمل الدعوي في وقتنا الراهن .

إن مما يؤسف له أن الكثير من التجمعات الإسلامية ما زالت محكومة بعقلية الفرد ، وما زالت تعيش مركزية وفردية القرار في حين أن العقبات أمامها تكبر ، والتحديات تزداد ، والمحن تتواتي والأزمات تتفاعل .

إن أسلوب العمل من خلال أفراد في موقع العمل المختلفة ما زال يجر عليها الكثير من المصاعب والمصائب، وإن الأسلوب الأمثل - في نظري - لمنهج التصدي للأزمات من جهة، وتطوير وسائل الدعوة بين الناس واستثمار معطياتها للمستقبل ؛ يمكن في أسلوب المؤسسات أي أن يكون لدى كل تجمع إسلامي مؤسسته الخاصة به لتطوير العمل وتنظيمه . وتكون هذه المؤسسات واضحة المعالم والصلاحية والاختصاص، فهذه مؤسسة متخصصة بالدعوة العامة ووسائلها وأساليبها ، وهذه مخصصة للصحف والمجلات والكتب والنشرات، وتلك متخصصة برصد ما ينشر عن الإسلام ويسبر أغوار الإعلام العالمي المناهض للدعوة الإسلامية، وهذه مؤسسة مهمتها البحث الشرعي التي تدعو حاجة المسلمين إليها ، ومؤسسات أخرى تربوية وإدارية وغير ذلك مما لا مكان لاستقصائه هنا .

وبذلك حقق غایات أساسية كثيرة مثل : تحريك كثير من الطاقات المعطلة وتوجيهها في الاتجاه الصحيح ، وضمان استمرار هذه الجهود وعدم وأدّها بوفاة شخص ، وانفصال المسلمين الدائم منها باعتبارها جهات تعمل على خير الجميع وليس مشروعات فردية مرتبطة بشخصية من أسسها .

تمت بعون الله والحمد لله